

عامر محمد بحيري

حصـــاد السنين

بقلم عامـر محمد بحيري

* * *

جناية شوقي ...

لشوقي رحمه الله علي فضل كبير ، فقد كان احـد الشعراء الاربعة الذين تاثرت بهم في مطلع حياتي الادبية ، منـذ الثانية عشرة ، وحتى العشرين من عمري ، وهو اوان وفاته عـام ١٩٣٢ .. وكان الثلاثـة الآخرون هم حافظ ابراهيم من المعاصرين ، ثم ابو العـلاء ، والمتنبي ـ على هذا الترتيب ـ من السابقين ..

وامتدت علاقتي به ، وفضله علي بعد ذلك ، على صور شتى .. كان من اهمها تاثري بمسرحياته الشعرية ، التـي ظهرت في الفتـرة الاخيرة من حياته ، وعاصرت اتصالـي الاول بشكسبير ، في اواخـر الدراسة الثانوية ، واوائـل الفتـرة الجامعيـة ، فجمعت بين الفنين ، واستطعت على مدى سنوات العمر الطويلة فيما بعد ، ان اعمـل في بعض روائع شكسبير هذه المحاولة الفنيةالدقيقة ، لنقلها الـى المسرح الشعري العربي الحديث ، الذي كان لشوقي الفضل الاكبر في نشأتـه وازدهاره ..

كما كان من اهم صور هذهالعلاقة ايضا ، وذلك الفضل .. انني حصلت في عام ١٩٦٠ على جائزة شعرية قيمة من الدولة تحمـل اسم « جائزة شوقي » .. انشأتها لجنة الشعر بالقاهرة على عهد الاستـاذ العقاد رحمه الله .. وهي مفارقة ضخمة .. للخصومة الجهيرة التـي ظلت قائمة بين العقاد وشوقي .. وقد حصل على هذه الجائزة فيمـا بعد زميل وصديق هو الشاعر الكبير صالـح جودت .. ثـم حجبت الجائزة لاسباب لا اعلمها .. وان كنت احس الخسارة الادبية الفادحة، في حجب مثل هذه الجائزة التي تستمد قيمتها من اسم صاحبها ، دون سواه من اسباب ..

ازاء هذه العلاقة الوثيقة ، وذلـك الفضل الكبير .. كان مـن المفروض ان اتحدث عن شوقي حديث الاطـراء والاعجاب ، واذكـره بكلمات التقدير والاجلال .. وهذا ما التزم به دون شك ، حين اتحدث عن شعره وفنه ومنزلته .. حتى عندما عرضت اخيرا الخصومة التي قامت بينه وبين العقاد .. في كتاب معد للطبع بعنوان « بين العقـاد وشوقي » .. فاني لم احد عن جادة الحق .. فحينما جاريت العقاد في وجهة نظره ، لم ابخس شوقي في نفس الوقت قدره ولا مكانته .. وعندما عرض علي يوما في وزارة الثقافة ، كتاب لاحـد المقربين مـن شوقي ، ووجدت فيه صورا من الحياة الخاصة للشاعر الكبير أحسست بالمرارة لان يخرج مثل هذا الكتاب عنه اديب يزعم انه وثيق الصلـة به .. فقد اهتزت امامي صورة شوقي الذي اعرفه ، شاعـر القومية العربية والاسلامية ، وداعية الوطنية المصرية ، ورسول الحكمة والاخلاق الفاضلة .. فكتبت تقريرا برفض الكتاب ، حتى تبقـى صورة شوقي ثابتة غير مهتزة امام اعين الشباب ..

على ان « جناية شوقي » .. التي عنيت التحدث عنها في هـذا المقال ، ورأيتها الجانب الاجدر من سواه بالحديث في هذا الحصاد .. شيء آخر .. غير فنه العالي ، ومسرحه الباقي ، وموقفه من معاصريه ، وموقف معاصريه منه .. انها شيء يمتد بعد ذلك ، حتى يؤثـر فيمن جاءوا بعد شوقي ، ورأوا تلك الهالة الكبيرة التي كانت تحيط بـه ، والضجة العالية التي كانت ترتبط بشخصه ، وبشعـره .. وذلـك المهرجان الحافل الذي اقامه ادباء البلاد العربية وشعراؤها عام ١٩٢٧، « لمبايعته » بلقب « أمير الشعراء » .. حتى قال فيه حافظ يومئـذ بيته المشهور :

أمير القوافي ، قـد اتيت مبايعا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي!

ثم هذا المهرجان الكبير التالي ، الذي اقيم بالقاهرة عام ١٩٣٢ ، لرثاء شوقي وتابينه حتى وقف فيـه شاعـر لبنان الكبير ، بشارة الخوري رحمه الله .. يقول :

قف في ربى الخلد، واهتف باسم شاعره فسدرة المنتهى.. ادنى منابره!

وقد شاءت الاقدار ان تعفي حافظ ابراهيم من هـذا الموقف .. فماذا كان عساه يقول في رثاء شوقي ، بعد بيته السابق في مبايعته ؟ اما شوقي نفسه فقد كان يتطلع الى هذا الموقف الذي حرمتـه منـه الاقدار .. وذكره حين رثى حافظا قبل موته هو بشهرين وبضعة ايام.. حيث قال يخاطبه :

قد كنت اوثر ان تقـول رثائـي يا منصف الموتـى مـن الاحياء !

مات شوقي على اية حال .. بعدحياة خصبة ، عريضة .. بلـغ فيها اقصى ما يتمناه شاعر عربي ، ولقب « بأمير الشعراء » .. واكبر ظني في هذه التسمية ـ وهذا رأي لم أره لاحد من قبل ـ ان شوقي كان يطمع في لقب آخر هو « شاعر الامراء » ، اذ كان في حياته اقرب الى الاسرة الحاكمة في مصر يومئذ ، وكان المتحدث في قصائده بلسانها، المشابه في حيائه ، ومظهره ، وثرائه لافرادها مـن الامراء .. فحدث برغمه هذا التعديل في اللقب ، الذي جعله اميرا على الشعراء ، ولـم يكن هؤلاء في ذلك الوقت الا فئة مستضعفة ، بالاضافة الى مركـزه الجهير الذي اقترب به من القصر ، في حين كان حافظ ، الثاني لـه في المكانة مباشرة ، والمنافس له على مركز الصدارة في الشعر امدا طويلا، لا يزيد على كونه شاعر « البؤساء » !

على اية حال ، فقد خلا الجو بعد وفاة شوقي .. وتطلع الشعراء من كل جانب يفكرون فيمن يتصدر لشغل هذا المقعد الخالي .. حتـى هؤلاء الذين حاربوا شوقي عليه ، وانكروا ان يكون للشعراء ، المفكرين، الملهمين ، ذوي الشفافية الروحية والوجدانية .. امير ، يتخذ سمت الحاكم المسيطر ، والآمر الناهي .. تطلع هؤلاء وهؤلاء .. الى هـذا المقعد الخالي ، منهم من يحمل المؤهل له ، ومنهم مـن لا يحمل .. ولست ادري ماذا كان يعتمل في صدور الشباب مـن زملائي في ذلـك الحين .. ولكني لا أبرىء نفسي من تهمة الغرور ، كما ذكرت ذلك من

قبل ، وهي تهمة قد تكون شرفا في بعض الاحيان ، اذا اثبتت قرائن الاحوال ، صدق الدوافع المؤدية اليها ..

.. واقيم حفل في مسرح حديقة الازبكية في مساء الجمعة السابع والعشرين من ابريل ، عام ١٩٣٤ .. لتكريم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد .. وتكلم فيه استاذنا الجليل ، الدكتور طه حسين ، مانحا العقاد امارة الشعر .. وكانت مناسبة الحفل هي « النشيد القومي » الذي ألفه العقاد يومئذ .. ومطلعه .. « قد رفعنا العلم ».. والذي يقول صديقي واخي عبد الحميد لطفي (اللواء فيما بعد) ، والذي كان طالبا في الحقوق ، وملازما لندوة العقاد مع زميله المرحوم حمادة الناحل المحامي .. انه اول من طلب الى العقاد ان ينظمه ، وانضم اليه سائر الشباب الحاضرين ، فاستجاب العقاد لهذه الدعوة ، ونظم النشيد ..

تلقاني صديقي عبد الحميد لطفي على درج كلية الآداب ، في صبيحة السبت الثامن والعشرين من ابريل .. فناداني بصوته الجهوري ، الطلق ، المرح .. فقال :

ـ هيا يا معشر الشعراء .. سارعوا الى الاستجابة لنداء عميدكم ، وانضووا تحت لواء امير شعرائكم .. العقاد !

ورأى الصديق على وجهي انكارا لما يقول .. رغم ما يعرفه من تقديري للعقاد منذ ذلك الوقت الباكر ، الذي كانت تنهال عليه فيه سهام المحاربين من كل جانب .. فراح يستطلع سبب انكاري ، حتى علم انني لم اشهد الحفل الذي اقيم الليلة البارحة .. وانني بنيت عدم حضوري على رفضي للذكرة في ذاتها .. فكيف يكون للشعراء امير؟ الم يكف ما جرته امارة شوقي ، التي كانت تشبه الوظيفة الاحتكارية امدا طويلا .. ثم تخلصنا منها .. حتى نعود بانفسنا ـ نحن معاشر الشعراء كما سمانا الزميل ـ فنضع القيد في ايدينا مرة اخرى ؟.

أين « حرية الشاعر » .. التي عبرت عنها يومئذ في قصيدة باكرة قلت في مطلعها :

حرروني كما تحرر شعري ... فلقد ضاق بالتقييد صدري
واتركوني كما اشاء قليلا ... فكفاني اني اعيش لغيري

هذا عن العقاد ، وامارة الشعر !

ولم اكن اريد الخروج عن حدود مصر .. على انه ما دام اللقب مغريا الى هذه الدرجة ، فمن الخير اذا أن تعطى الفرصة فيه لكل بلد عربي على حدة .. وهكذا كان دور لبنان ، هو التالي .. وسمي الشاعر الكبير بشارة الخوري ، رحمه الله ، اميرا للشعراء في لبنان .. وقد ذكرت فيما سبق ، ان معرفتي بالخوري ، وتقديري لشعره كانا مبكرين، يصحبان معرفتي بشوقي نفسه .. وذلك منذ رثائه لسعد زغلول ، الذي حفظته في الخامسة عشرة ، وفيه يقول :

قالوا دهت مصر دهياء، فقلت لهم ... هل غيض النيل، أم هل زلزل الهرم
قالوا أشد وأدهى.. قلت ويحكم ... اذا لقد مات سعد.. وانطوى العلم

وظل اعجابي بالخوري بعد ذلك متصلا .. حتى كانت قصيدته الرائعة في رثاء شوقي .. التي كانت اروع ما قيل في حفلات التأبين الكبيرة التي اقيمت بالقاهرة عقب وفاته ،وشاركت فيها وفود البلاد العربية التي منحته لقب امير الشعراء قبل خمس سنوات .. تلك القصيدة التي يقول فيها بشارة الخوري بيته المشهور :

سألتنيه رثاء ، خذه من كبدي ... لا يؤخذ الشيء الا من مصادره

ولعل استاذنا الكبير عزيز اباظة .. الذي أثرى ميدان الشعر العربي ، بمسرحياته التي اربت على العشر ، والتي اتم فيها ما بدأ شوقي في ميدان الشعر المسرحي .. يكون اليوم احق من تطلع الى هذا اللقب .. ولدي على ذلك شاهدان ..

الاول ، قصيدته الرائعة التي القاها اخيرا في لبنان .. في رثاء بشارة الخوري نفسه .. والتي بناها على معارضة قصيدة الخوري السابقة في رثاء شوقي .. وكأنه ـ امد الله في حياته الطيبة المباركة ـ يقول للشاعرين السابقين الباسقين .. « انا شجرة الشعر بعدكما »..

والتي يقول في مطلعها ، متلاعبا بمطلع الخوري ايما تلاعب :

قف في ربى الخلد، واهتف في مقاصره ... بشاعر ملأ الدنيا .. كشاعره،

وهي قصيدة طويلة ، وجميلة .. يعجبني دائما ان اقف منها عند ابيات يصف فيها عزيز زيارته لبشارة الخوري في مرضه ، واستعرافه له (أي تعريفه اياه بنفسه) ، وتحيته لآله وصحبه .. في روعة بيانية محببة .. فيقول :

لم انسه حين افضينا له فمضى ... وللردى رفرفات في مقاصره
والداء محتكم ، والحول منحطم ... واول النزع يحبو صوب آخره
وحوله الله .. يلقى في عقيلته ... من لطفه السمح ، عذرا عن مقادره
تفيض عطفا واشفاقا وخافقها ... يذوب كالكرم في راووق عاصره
في منزل.. او ضمير الشرق أنصفه ... لاعتده الشرق ركنا من شعائره
لم انسه حين افضينا له فمضى ... يعتامنا بكليل الطرف فاتره
وقال من أنت؟ فاستعرفت فأتلقت ... لحاظه ، ثم غامت في محاجره
وقال هل كنت من صحبي؟ فقلت اجل ... كصحبة العشب الظامي لماطره
وراح صحبي، وهم مثلي ذوو نسب ... بفنه .. وبنو موشى سامره
فطارحوه ، وساقوا من جياهره ... فاهتز ينثر عقدا من جواهره
وعاد كالمرح النشوان.. ثم طفت ... عليه وعكة ذاوى الروح حائره
ما رابه الدهر الا زاده عظما ... كالطيب يزداد طيبا في مجامره
ثم افترقنا ، وادري ان نازلة ... ترقى الى عشه الحالي وطائره
ونحذر الموت ، لا نالو له حذرا ... والموت اقرب شيء من محاذره

ولا بد من شرح بعض الكلمات الصعبة ، فعزيز اباظة سيد اللغة .. وقد شرحت قوله الآن .. « استعرفت » .. وهو يتبع ذلك بلفظ « أتلقت » .. بادغام الهمزة في التاء ، واصلها ائتلقت ، وظني انها اسهل .. اما قوله « جياهرة » .. فيشرحه ان الجهير والجهيرة من معناهما الجميل الانيق .. وقد سألت يوما صديقي الاستاذ الناقد الدكتور محمد مندور رحمه الله ، عن مسرح اباظة الشعري ، فقال انه يغرب في الفاظه الى درجة لا داعي لها .. وطلبت مثلا ، فقال لي ان « هيهات » في ذاتها كلمة لغوية صعبة على المسرح ، ومع ذلك فلا يقولها عزيز الا بالهمزة .. « أيهات » !

اما الشاهد الثاني ، على تطلع عزيز الى امارة الشعر ، فهو مقال بليغ قرأته في صيف العام الماضي (١٩٧١) ، في الملحق الادبي لصحيفة « الاخبار » بمصر .. ومما يؤسفني كثيرا انني لم احتفظ بذلك العدد الذي حول المقال .. فهذا المقال هام من جوانب متعددة .. كاتبه هو القاص الكبير محمود تيمور ، صاحب الاسلوب الرائع ، وقد افرغ في مقاله من تصويره ، وشعوره الفياض ، ولغته المنتقاة الشيء الكثير .. واما موضوع المقال فهو مقارنة .. « بين شوقي وعزيز » .. وقد مضيت اقرأ هذا المقال ، وانا جد مشغوف بالمقارنة ، وبما وضع الكاتب نفسه فيه من حرج هذه المعادلة الصعبة .. حتى لاذكر انه وصف شوقي بالقماءة .. الى جانب ما هو معروف عن عزيز اباظة من شخصية فارعة الطول ، مشرقة القسمات .. كما قارن بين لكنة شوقي وطلاقة عزيز .. وهو وصف في ذاته قصصي وجميل ، ومن الناحية الواقعية ، يشتمل على كثير من الصحة ، التي لا يمكن انكارها اذا كان في موضع الكاتب مصور فوتغرافي .. اما الاديب الناقد ، فليس من الضروري لكي يرفع جانبا ، ان يخفض الآخر .. وقد ذكرني ذلك بحملة العقاد على شوقي في كتابه « الديوان » .. ووددت لو ان تيمورا لم يجنح الى ما ذهب اليه العقاد ، ولست ادري ايهما كان اقسى عليه من صاحبه.. الا ان خلاصة الامر عندي ، هي ان شوقي قمة ، كما ان عزيز اباظة الآن يرتفع الى ذات القمة ، وكذلك كان العقاد ، وكذلك تيمور .. وليس عزيز الذي سقت الآن مثلا من رائع شعره في بشارة ، بالذي يحتاج الى هذا التصوير الفوتغرافي كله ، لاظهار ان منزلته في الشعر تفوق منزلة شوقي ..

ومن الطريف ، بعد ان تحدثت عن هذه القمم التي تطلعت ، وما زالت تتطلع ، الى لقب « امير الشعراء » بعد شوقي .. كمطران الذي

سمي شاعر الاقطار العربية ، بعد ان كان شاعر القطرين فقط .. وكالزهاوي في العراق ، والخوري في لبنان ، والعقاد وعزيز اباظة في مصر .. ان اتحدث عن الجيل التالي من الزملاء ..

لست أشك في ان الصديق الشاعر صالح جودت ، من المتطلعين الى هذا اللقب ، وعندما حصلت على جائزة « شوقي » في الشعر عام ١٩٦٠ ـ وتسلمتها في عيد العلم السادس الذي حصل فيه العقاد على جائزة الدولة التقديرية ـ كان صالح هو المعارض الوحيد لمنحي هذه الجائزة في لجنة الشعر .. ولكن عندما تقدم هو لنيلها عام ١٩٦٤ ، وحصل عليها ، كتب في صحيفة الاهرام انه نال جائزة « امير الشعراء ».

ولست أشك في ان الصديق صلاح عبد الصبور ، وهو من الجيل الصاعد ، بعد الجيلين الهابطين .. يرى الآن انه صاحب حق في اللقب، وليس صاحب تطلع اليه فقط .. فاذا تواضع الصديق بعض التواضع، رأى انه امير على اصحاب الشعر الجديد فقط ، ولكن باعتبار ان ما بقي من الجيلين الهابطين قد اصبح جثثا ، وهامات عدا عليها نائب الدهر .. ولست ادري ان كان شعراء الطليعة الآخرين ، وقد عاد بعضهم اليوم لمهاجمة الشعر « العمودي » ، في شخص الجواهري وغيره من شعراء مهرجان دمشق ، يفعلون ذلك ليثبتوا امارة صلاح عبد الصبور ، أم ان هذه الامارة ذاتها في نظرهم قد عفى عليها الزمن ، الذي لم يصبح بعيدا بعد ، ووجب ان يكون مآلها اليهم من دونه ؟!

اما الصديق الشاعر محمود حسن اسماعيل .. وقد جاء دوره في ختام هذا الحديث عفوا ، فلا اشك في انه تطلع منذ وقت مبكر جدا الى لقب امارة الشعر .. وقد تطلع اليه على الطريقة التي زعمت ان شوقي كان يحسها في دخيلة نفسه، وهي ان يكون « شاعرا للامراء ».. وليس فقط .. « اميرا للشعراء » .. لذلك كان اول ما صنعه بعد تخرجه هو تفصيل الردنجوت .. واذا كان صلاح عبد الصبور قد هاجمني في صحيفة الاهرام ، عام ١٩٦٤ لعضويتي المتواضعة في لجنة الشعر .. فان محمودا قد سعى حثيثا ، منذ زمالتنا القديمة ، هو في دار العلوم وانا في كلية الآداب ، لاثبات سبقه وجهارته ، على تأخري وخمول ذكري بعدة صور مختلفة .. منها غزوته الشهيرة لكلية الآداب في جمهور من المصفقين عام ١٩٣٦ لرثاء استاذنا المرحوم طه ابراهيم .. استاذ النقد الادبي يومئذ ، مشترطا ان تكون كلمة الشعر لدار العلوم وحدها .. ومنها سعيه اول صلتنا بالاذاعة عام ١٩٣٩ ، لتسجيل نشيدين على شريط واحد ، يذاع فاذا اول نشيد « الدفاع الوطني » له ، ثم يليه نشيد « المنقذات » لي .. هذا النشيد الذي سمعه المرحوم الدكتور زكي مبارك ، فقال لي ان فيه « نفحة شوقية » .. وقد سعيت يومئذ لفصل النشيدين ، لينفرد كل شريط « بشخصيته » فلم يحدث .. كأنما كان يراد القول بان هذا النشيد هو الاول ، وذلك هو الثاني .. ومنها ، ايضا .. ما ذكرني اخيرا الصديق الشاعر عبد الرحمن الخميسي ، عن انه دعاني في اوائل الاربعينات ، (لمبايعة) الصديق محمود حسن اسماعيل بامارة الشعر .. فغضبت ، ورفضت الانصات لما يقول .. فتذكرت ذلك وضحكت ...

على اني لا اريد ان استرسل في هذا الحديث .. فقد بدأته وانا انوي المداعبة لاصدقاء شبابي ، الاعزاء على نفسي ، بعد مرور كل هذه السنين ، وبعد موقفي على هذا البيدر لجمع الحصاد .. ولا احب ان يؤول حديثي لاعز الاصدقاء باكثر من هذا المعنى ..

على ان هذه الغاية التي وصل اليها الحديث ، تذكرني باوله .. وهو العنوان الذي سميت فيه المقال «جناية شوقي».. وربما رأى آخرون من النقاد وذوي الرأي ان لهذا الحديث وجوها اخرى ، لا تعنيني هنا بطبيعة الحال .. ولكني أؤكد ان شوقي ، بطريقته التي ذكرها العقاد اول الذاكرين ، في كتاب « الديوان » للوصول الى مكانته ، والاحتفاظ بجهارة منزلته ، هي السبب المسؤول عما دفع الشعراء من بعده الى هذا التطلع الى النجم ، والمقعد العالي على جناح النجم !

على انه يبقى اخيرا واجب الانصاف لشوقي .. فهو بشخصه غير مسؤول عن هذه الحوادث الفردية التي وقعت بعد وفاته ، ولا يقدح شيء من ذلك في مكانته الشعرية ، ولا في « استاذيته » التي كنت اذكرها دائما ، ولا انساها ، حتى في معرض الحديث الجاد ، لانصاف العقاد في مهاجمته الدائمة له .. وقد رثيت شوقي يوم وفاته وأنا في العشرين ، بالقصيدة النونية (على وزن قصيدته في مهرجان تكريمه) والتي كانت اول ما قيل في شوقي بعد وفاته على الاطلاق .. ومطلعها :

فجع الشرق في امير بيانه   وعكاظ القرون في سحبانه !

ولكني تعرضت بعد ذلك عدة مرات لرثائه ، وتمجيد ذكراه .. فقلت في مهرجان المجلس الاعلى لتكريم هذه الذكرى عام ١٩٥٨ .. هذه الهمزية العزيزة على نفسي .. ومطلعها :

راحوا الى الخلد افذاذا كما جاءوا   وهم بما صنعوا للخلد أكفاء
مضمخا بعبير الورد ذكرهم   كأنه جنة في الخلد فيحاء
ريانة بمطير الوحي ناضره   تمضي الدهور عليها وهي خضراء
كانوا اعزاء في الدنيا بشعرهم   وهم ، وان تركوا الدنيا اعزاء

ومنها :

يا ذكريات الصبى عودي معطرة   والوحي منهمر كالغيث معطاء
وشعر شوقي هو الاستاذ.. يتبعه   قبلي اساتذة الشعر الاجلاء
صباحه صفحة بالوحي مشرقة   وليله روضة باللحن غناء
تنقل الروح من ماء الى شجر   قصيدة من عيون الشعر عصماء
تجري رحيقا، وتجري سلسلا غدقا   كالصخر منبجسا من اصله الماء
شعر البطولة يدعو المؤمنين بها   مراده همة في المجد قعساء
ضم العروبة من نبل الدعاة لها   ابياته رسل الحق الاشداء
بينا تراه يناجي عز قرطبة   اذ هذه من روابي الشام ايحاء
يا أيه كان حيا بين اظهرنا   والعبقريون رغم الموت احياء

اما الخلاف بين العقاد وشوقي ، فعالجته ايضا .. في قصيدة « جمال الورد » .. التي نظمتها بعد الحصول على جائزة شوقي ، وذكرت فيها فضل العقاد ولجنة الشعر خاصة في منحي هذه الجائزة تقديرا لجهود لا اراني استحق عليها شيئا .. ولكني حفظت لكل من القطبين الكبيرين في عالم الشعر والفكر قدره ومكانته .. وذكرت اثر شوقي الخالد في نفسي من قصائده الغراء التي كانت تطالعني بها الصحف في شبابي ، صباحا بعد صباح .. كما اشرت الى العقاد ايضا الذي كان قمة شامخة ، ولذلك لم يكن اجدر منه من يستطيع الوقوف لنقد شوقي ، وهو تلك القمة الشامخة كذلك .. فقلت :

خاصم العقاد شوقي حقبة   وشريف القدر من نال خصامه
كان شوقي في علاه كوكبا   بين قصر الفن ، او قصر الاقامه
وهو شيخ عبقري سابق   في قصيد الشعر او فصل الدرامه
ساحر قد اصبح الجيل به   ثمل الاحساس من غير مدامه
كل فجر طالعته صحف   بالطوال الغر حسنا وقسامه
لا يكاد الحمد يكفيه .. ولا   يبلغ النقد على الشمس مقامه
من سوى العقاد اعلى قدرة   ان يهز الطود او يرجو حطامه
شامخ في الرأي ، يرمي شامخا   في مدى الوحي ، ويصليه سهامه
يا لها معركة قد اكسبت   دولة الفكر ضراء وصرامه
في فصول صاغها ذو قلم   ما جرى في الطرس الا بالكرامه
ليس فيه لفظة نابية   كيف ينبو من غدا الصدق حسامه

فهكذا كانت معارك الرأي الكبرى ، وهكذا كانت محاولتي المتواضعة للتعبير عنها ، ووصفها ، مجرد التعبير والوصف .. دون ان اقحم نفسي على الجهابذة ، او انحاز الى صف بذاته من صفوف العمالقة .. ورحم الله من عرف لنفسه قدرها ، واعطى كل ذي حق حقه .. اما شوقي ، الذي تحدثت في هذا المقال عما اسميته بجنايته.. فجدير بأن اعود اليه مستأنيا ، لمحاولة الكشف عن نواحي فضله ، وريادته .. والله الموفق .

مصر الجديدة   **عامر محمد بحيري**



لا تشغلي الهاتف

●

بحقك لا تشغلي هاتفي	فموعده الآن حلو الوعود
يناجي خيالي بانغامه	وأحيا بيوم جديد سعيد
فلا تشغلي الوقت ، وقتي له	يشير فاغدو له ما يريد
ولا تدهشي انه نبض قلبي	وومض حياتي وسحر الوجود
وقصة عمري تترجم حبي	وليس سواه قديم جديد
ودنياي تحلو به وحده	لان هواه هواي الوحيد
اذا مر يوم ولم القه	ولو بحديث سرى من بعيد
حديث يموج مع الصبح عطرا	وعطر يفوق شذاه الورود
فقلبي يضيق برحب الوجود	وأحسب كفي بأسر القيود

بحقك لا تشغلي هاتفي	فاحرم من نغمات الرنين
ومن صوته في السكون يغني	فيقطع باللحن صمت السكون
أعيش على الكلمات وأحيا	بنجواه همسا يثير الشجون
أرى بهواه الحياة جمالا	وتسبح روحي ببحر الفتون
اعد له في الخيال لقاء	واحفظه في سواد العيون
وانثر تحت خطاه العبير	وأنسج بالحب دفء الحنين
واكتب بالوهم قصة عمري	بها ما مضى وما سيكون
اسامح دنياي مهما قست	فكل أسى في هواه يهون
خيال يعطر كل حياتي	وكل له في هواه شئون
انا في انتظار حديث القلوب	حديث الجوى والهوى والفنون
فلا تشغلي لي هاتفي انه	حديث يهدهد دمعي الحزين
اخاف اذا ما اطلت الحديث	يضيق واخشى عليه الظنون
فيحسب أني شغلت بغير	هواه الذي صنته في الجفون
ولو أنه واثق ان قلبي	لغير هوى ملهمي لن يكون

مصر الجديدة

روحية القليني

بلاغة الكتاب في العصر العباسي

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر

* * *

الكتاب تأليف الدكتور محمد نبيه حجاب (دكتوراه في الادب العربي بمرتبة الشرف الاولى – كلية دار العلوم – جامعة القاهرة) . ومن أهم الملاحظات عليه :

١ – جاء على الصفحة ٣٢ منه : « ... ومنهم من يؤثر جانب المعنى ... والى هذا الجانب وقف « ابن قتيبة » ... ومن ثم أطلق لسانه في أبيات كثير عزة :

ولما قضينا من منى كل حاجة — ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المهارى رحالنا — ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا — وسالت باعناق المطي الاباطح »

أ – مصدر الدكتور محمد نبيه في رواية هذه الابيات الشعر والشعراء و ١١/١ . واول ما يفهمه القارىء من هذه الرواية على الصورة التي أوردها المؤلف ان ابن قتيبة نفسه نص على نسبة هذه الابيات لكثير عزة ، وهو ما لم يقع ، لاننا اذا رجعنا الى « الشعر والشعراء » وجدنا ابن قتيبة يقول : « ... كقول القائل ... » أي انه لم ينسب الابيات الى احد ، ولم يرد ان ينسبها الى احد ، على خلاف ما فعل في الابيات الاخرى التي ذكرها في الباب نفسه فانه نص على أصحابها .

ب – ولا بد من ان يكون في الامر سبب علمي ، وقد يكون من هذا السبب العلمي ان هذه الابيات تنسب لعدد من الشعراء – منهم او من أشهرهم كثير عزة – وليس من المناسب الجزم في النسبة .

وعمل مثل ابن قتيبة علماء آخرون منهم عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة وابن جني في الخصائص ، والقالي في ذيل الامالي وياقوت في معجم الادباء .

أما الشريف المرتضى فقد نسبها في أماليه للمضرب عقبة بن كعب ابن زهير بن أبي سلمى .

وقد وضح ذلك جيدا العلامة أحمد محمد شاكر في تحقيقه للشعر والشعراء وكان المفروض ان يعلمه الدكتور محمد نبيه حجاب وينتفع به لدى « التعبير » لان تحقيق شاكر في « مصادره » .

٢ – اذ نص الدكتور محمد نبيه حجاب في المتن على ان الابيات الحائية « ولما قضينا ... » لكثير عزة ، ذكر في الحاشية : « وتروى للمعلوط السعدي » فوقع في خطأ ثان ، لانه لم يرو احد هذه الابيات الى المعلوط السعدي وان الذي اوقعه ، فيما وقع فيه ، الخبر الذي ذكره ابن قتيبة بعد الابيات الحائية اذ قال : « ونحوه قول المعلوط » :

ان الذين غدوا بلبك غادروا — وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي — ماذا لقيت من الهوى ولقينا

ونسب هذان البيتان في احدى نسخ الشعر والشعراء الى جرير ، وقد أثبت المحقق هذا الخلاف في الحاشية كما نقل الى جواره ما جاء بحاشية تلك النسخة : « .. قال الشريف : وتروى هذه الابيات للمعلوط السعدي » . ووضح العلامة المحقق الامر جيدا وبين ان المعلوط أحق بالبيتين من جرير . ولا بد من أن تكون حاشية هذين البيتين قد اختلطت لدى الدكتور محمد نبيه حجاب مع حاشية الابيات الحائية فكان من ذلك الخطأ في قوله عن الابيات الحائية : « وتروى للمعلوط السعدي » ، وما رواها أحد له كما رأينا .

٣ – ص ٣٥ : قال الدكتور محمد نبيه حجاب : « ... الاستاذ الزيات ... يقول : « كان فلوبير امام الصناعة في فرنسا » ثم يشفع ذلك بما ذكره عنه تلميذه جي دي موباسان « Gui de Maupassant

الصحيح : Guy

٤ – ص ٧٥ – ٧٦ : « وفي سنة ٤٤٧ استولى السلاجقة الاتراك على بغداد » ... انفرد هذا العصر من سواه بظاهرتين متميزتين هما .. « المدارس الرسمية » و « الموسوعات العلمية » . حتى عرف في حقل التربية بعصر المدارس ، وفي حقل اللغة بعصر الموسوعات ... ولا غرو ان سمي بعصر الموسوعات .

أ – من : عن .

ب – يتحدث الدكتور محمد نبيه حجاب عن هذا العصر وكأن اسمه « بعصر الموسوعات » مصطلح مقرر قديما وحديثا وانه أمر مفروغ منه ، وليس لهذا حظ كبير من الصواب . فمن الذي سمى العصر السلجوقي او العصر العباسي الثالث كله عصر الموسوعات ؟ .

لم يسمه القدماء ولم يصطلح عليه المحدثون ، وان كنا نرى فيه مؤلفات موسوعية ، وكثيرا ما تطلق الكلمة على العصر الذي يلي سقوط بغداد ويعرف احيانا « بالفترة المظلمة » اذ يعد فيمن يعد النويري صاحب نهاية الادب والقلقشندي صاحب صبح الاعشى ، وابن خلكان صاحب وفيات الاعيان ، وابن منظور صاحب لسان العرب ، والزبيدي صاحب تاج العروس ، وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الابصار في ممالك الامصار ... الخ .

وكان جرجي زيدان من أوائل المؤلفين العرب المحدثين ممن ربط بين الموسوعات والعصور قال ٤ : ٢٤١ (من ط ٢) وهو يتحدث عن العصر المغولي : « تكاثرت الموسوعات والكتب الجامعة للموضوعات المتعددة في هذا العصر حتى يصح ان يسمى عصر الموسوعات والمجاميع » .

وقول زيدان مقبول ، اما قول الدكتور محمد نبيه حجاب فلا .

٥ ـ ص ٧٥ : « اما الموسوعات فتتجلى في هذه المعاجم الضخمة ... نخص بالذكر منها القاموس المحيط للفيروزابادي واسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ومفتاح العلوم ... » .

أ ـ أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ... ليست معجمات وليست ضخمة .

ب ـ القاموس المحيط للفيروز ابادي ليس مما الف في عصر من العصور العباسية ، ومعلوم ان الخلافة العباسية سقطت بسقوط بغداد سنة ٦٥٦ وان الفيروز ابادي ولد سنة ٧٢٩ وتوفي سنة ٨١٧ .

٦ ـ ص ٩٢ : « الجاحظ (١٥٠ ـ ٢٥٠) . »

وليس لنا ان نجزم بأن الجاحظ ولد سنة ١٥٠ ، اما وفاته فكانت سنة ٢٥٥ .

٧ ـ ص ٩٣ : « ولما جاء امام البلغاء عبد القاهر الجرجاني » .

لم يكن الجرجاني امام البلغاء ولكنه يمكن ان يعد امام البلاغيين ، وفرق بين البليغ والبلاغي .

٨ ـ ص ١٠١ ، الف ليلة وليلة « ترجم ... الى معظم لغات العالم ونال عناية المستشرقين في القرن التاسع عشر وبخاصة ديكنز Dekens وتنسون Tennyson الذي نظم فيه قصائده » .

أ ـ لم يكن ديكنز وتنسون من المستشرقين .

ب ـ تقول الدكتورة سهير القلماوي في كتابها عن « الف ليلة وليلة » (ط ٣ ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٦ ـ ص ٣٧) : «كذلك اثر الكتاب في ادباء من انجلترا بارزين ، فأثر في الشاعر تنسون Tennyson واثر في دوكوينسي Dequincy » .

وكلام الدكتورة منسجم علمي .

٩ ـ ص ١٣٤ : « .. في عصر الجاحظ كان ابن عبد ربه يقلد ابن المقفع » .

توفي الجاحظ سنة ٢٥٥ ، وولد ابن عبد ربه سنة ٢٤٦ وتوفي سنة ٣٢٨ وهذا ما يضعف المعاصرة ان لم ينفها . لقد كان عمر ابن عبد ربه تسع سنوات عندما توفي الجاحظ ، والجاحظ من القرن الثالث ، وابن عبد ربه من القرن الرابع ، .. وليس صعبا ان نجد تعبيرا ادق عما يريد ان يقوله الدكتور محمد نبيه حجاب .

١٠ ـ ص ١٥٥ : « اقتدى بالجاحظ في اسلوبه كثيرون ... كابن قتيبة المتوفى سنة ٢١٦ .. والثعالبي المتوفى سنة ٤٢٥ » .

صحيح هذا ان ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦ .. والثعالبي سنة ٤٢٩ .

١١ ـ ص ١٦٠ : « .. يقول ابن الدمينة » :

أان سجعت ورقاء في رونق الضحا على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ، ولم تكن جليدا وأبديت الذي تكن تبدي

جاء البيت في ديوان ابن الدمينة (تحقيق احمد راتب النفاخ ـ القاهرة دار العروبة ـ ١٩٥٩ ـ ص ٨٥) هكذا :

أان هتفت ورقاء في رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد ولم تكن جليدا، وابديتالذي لم تكنتبدي

واذا كان المؤلف قد استشهد ببيتي ابن الدمينة على تعريف السجع لورود كلمة « سجعت » فقد بطل الشاهد بوجود « هتفت » .

١٢ ـ ص ١٧٦ : « ابن العميد ... في رسالته الى ابن بلكا بن ونداد ... »

الصحيح : ابن بلكا ونداد (تنظر اليتيمة ١٦٢/٣ ط ـ التجارية ، وتنظر ط. الصاوي ١٤٥/٣ ـ وهي الطبعة التي رجع اليها مؤلف بلاغة الكتاب) .

١٣ ـ ص ٢٨٤ : « امثال.. ابي عمر بن العلاء.. »

الصحيح : ابي عمرو .

١٤ ـ ص ٢٨٥ : « ذكروا ان الجاحظ ـ في أوائل حياته ـ كان يؤلف الكتب وينسبها الى ابن المقفع او سهل بن هارون ليقبل عليها القراء .. » .

ترى من الذين ذكروا ؟.

الذي أعرفه جيدا ان الجاحظ نفسه قال في رسالة له بعنوان « فصل ما بين العداوة والحسد » ـ والرسالة مطبوعة اكثر من مرة ـ : « وربما الفت الكتاب .. فاترجمه باسم غيري وأحيله على من تقدمني عصره مثل ابن المقفع والخليل وسلم صاحب بيت الحكمة ويحيى بن خالد والعتابي ومن أشبه هؤلاء من مؤلفي الكتب ... ».

واسناد الخبر الى الجاحظ نفسه اولى .

١٥ ـ ص ٣٦٤ : « ترجمت مقامات الحريري الى اللغة العربية ، ترجمها الخريزي في اوائل القرن السابع الهجري ، ونسج على منوالها سالومون ابن ذقبيل .. ».

رجعنا الى دائرة المعارف الاسلامية الى المادة التي كتبها بروكلمان عن المقامات فرأيناه يقول :

In Spain the Jew Rabbi Jehuda ben Shelomo Harizi Who flowrshed at the begining of the x iii th Centurg translated the Makamat of the Hariri in to Hebrew and the Composed 50 Similar modeled on them

ومعنى هذا :

أ ـ ان صحيح الخريزي الواردة في كلام الدكتور محمد نبيه حجاب : حريزي . ولنتذكر ان المستشرقين يضعون نقطة تحت الـ H للدلالة على الحاء العربية .

ب ـ وان الذي نسج على منوال المقامات هو نفسه الذي ترجمها الى العبرية لان سالومون (شلومو) وحريزي شخص واحد وليسا شخصين مختلفين كما في كلام الدكتور محمد نبيه حجاب .

نيسان لا يمطر حبا

●

لو أنني ألقاك يا حلما تضمخه الطيوب
لو أنني ألقاك يو ما قبل ان تفنى الدروب
قبل انحسار الشمس عني قبل ان ياتي الفروب
حتى م يبقى السور منتصبا وحتى م الهروب

الصمت عات لا صدى والصوت كاب في الحناجر
وأنا وأنت رغائب أبدا تعربد في الضمائر
لا جسر ينبت بيننا أحجاره همس المشاعر
أبدا كلانا يا غريب يعيش للوعد المسافر

ان يمحي من خاطري حلم كما شاء الخيال
نيسان يمطر فيه حبا والهوى عمر الجمال
ماذا سيبقى منه من نيسان من طيب الفلال
والدرب يلتهم الخطى والعمر مرتعش الظلال

دمشق — سلافة العامري

١٦ ـ ص ٣٦٧ : « المصادر والمراجع » .

أ ـ اختيار المنظوم والمنثور : ابن طيفور . الطبعة الاولى .

الصحيح : ان هذا الكتاب الذي يذكره الدكتور محمد نبيه حجاب غير مطبوع .

ب ـ ادب الكاتب : ابو بكر الصولي . الصحيح : أدب الكتاب .

ج ـ رسائل الحصفكي . الصحيح : رسائل الحصكفي .

د ـ شوقي وحافظ : طه حسين . الصحيح : حافظ وشوقي .

هـ ـ يذكر الدكتور محمد نبيه حجاب في قائمة « المصادر والمراجع » : تجارب الامم لابن مسكويه . ليدن ١٩١٧ .

والحقيقة :

١ ـ ان ١٩١٧ ليس تاريخ طبع الكتاب في ليدن ، وانما هو تاريخ الانتهاء من الطبع ، لان طبع الجزء الاول كان سنة ١٩٠٩ ـ وكان الطبع تصويرا .

٢ ـ لا قيمة لذكر هذه الطبعة (المصورة) في قائمة المصادر لان الدكتور محمد نبيه حجاب لم يرجع اليها ، وانما رجع الى طبعة آمدروز بشركة التمدن الصناعية بالقاهرة اذ صدر منها جزء يحتوي على حوادث ٢٩٥ ـ ٣٢٩ سنة ١٩١٤ ، وجزء آخر يحتوي على حوادث ٣٢٩ ـ ٣٦٩ سنة ١٩١٥ ، ولا ادل على ان الدكتور محمد نبيه حجاب لم يرجع الى طبعة ليدن من انه يحيل ص ٣١٤ ، اذ يتحدث عن ابن العميد ـ يحيل على : تجارب الامم ٢٧٨/٢ ، ومعنى هذا : الصفحة ٢٧٨ من الجزء الثاني من طبعة القاهرة ، ولو انه رجع الى مصورة ليدن لاحال على الصفحة ٣٥٣ من الجزء الخامس .

ارجو ان نكون اكثر دقة في اعمالنا اذا اردنا لانفسنا صفة الباحثين .

بغداد ـ كلية الآداب — **علي جواد الطاهر**

ابن قتيبة في الشعر والشعراء

بقلم سكينة الشهابي

* * *



صادفت في العام الماضي ما وقفت عنده قلقة محتارة حين قرأت كتاب : « عيون الاخبار » لابـــن قتيبة ووجـدت تفرده برواية غريبة مريبـــة لعيون الخطب العربيـــة ، وزعمت يومها أننا قبل ان نصدر حكما على هذه الرواية الغريبة علينا ان ندرس دراسة دقيقة حياة أولئك الذين نقل عنهم ابن قتيبة ، لانني لم اجد خطبا غريبة فقط ولكنني وجـدت أيضا اسماء خاصة انفرد ابن قتيبة بالنقل عنهـــا . وكـــان السؤال المحير :

ما هي درجة ثقة هؤلاء من جهة ، ولماذا اخذ عنهم ولم يأخذ عـــن سواهم من جهة ثانية ؟ ولكنني قبل ان اجد الاجوبـــة المرضية علـى سؤالي حاولت ان استمر في قراءة مكتبة ابن قتيبة لعلي أضع يـــدي على اشياء جديدة تعينني في بحثي وتختلف عمـا لقنه لنـا مدرسونا ، بعد قراءة سطحية سريعة لكتاب الشعر والشعراء .

لا أزال اذكر تلك المحاضرات التي علمتنا ان ابن قتيبة جمـــع في كتابه « الشعر والشعراء » اخبار الشعراء مع مختارات جيدة مـــن اشعارهم ، وكذلك لا ازال اذكر انه وقف في كتابه هذا عند نهاية المائة الثانية الهجرية ولم يتجاوزها الى معاصريه الا اذا كان من يتحدث عنه من المعمرين كما فعل مع (دعبل) فقد نقل اخباره وحدثنا عن سماعه منه ، ومع انه يروي شعرا لدعبل في هجاء ابي تمام والطعن في نسبـــه فانه لا يترجم لابي تمام وذلك لان أبا تمام يعتبر مـــن شعراء المائـــة الثالثة ، على الرغم من انه توفي قبل دعبل بما يزيد على العشر سنوات.

كذلك ألفنا أن نتدارس مقدمته النقدية للكتاب لنـــرى طريقـــة العرب في النقد وتطور هذا النقد تطورا منهجيا على يديه حيث يعرض علينا أقسام الشعر وعيوب الشعر وأوائل الشعراء مع امثلة كافيـــة تنم على خبرة ودراية وتؤكد لنا شخصية ابـــن قتيبـــة الناقد اللغوي والذي لا يكتفي بسرد آراء المتقدمين بل يبين وجهة نظره في كثير مـــن المواضع مفندا آراء مشايخه . وكم كنا نجد لذة ونحن نقرأ الامثلـــة التي يأتي بها ثم يعمد الى شرحها والتعليق عليها كما في حديثه عـــن الشعر الذي حسن معناه وقصرت ألفاظه حين جاء بقول النابغة :

خطا طيف حجن في حبال متينـــة تمـد بهـــا أيـد اليك نـــوازع

وقال معلقا عليه : قال أبو محمد :

رأيت علماء يستجيدون معناه ولست أرى ألفاظه جيادا ولا مبينة لمعناه لانه أراد : « انت في قدرتك على كخطاطيف عقف يمد بها ، وانا كدلو تمد بتلك الخطاطيف . وعلى أني ايضا لست ارى المعنى جيدا ».

لقد اعتبر مشايخ ابن قتيبة هذا البيت مما قصرت الفاظه وحسن معناه ولكنه يرى انه مما قصر لفظا ومعنى .

اما بالنسبة لما يختاره من شعر الشعراء فقـــد حفظنا أنـــه « اختيار عالم بالشعر عارف به فقيه ، فهو يختار فيحسن الاختيـــار وينقد فيحسن النقد ويجيده ، ويوازن بـــين الشعراء فيقيم الـــوزن بالقسط لا يحيد ولا يميل » .

من هذه الآراء التي سلمنا بها طلابا وكانت شبه مفروضة علـــى عقولنا مدرسين يكاد يخيل الينا ان الرجل معصوم من الخطأ بعيد عـــن الهوى يزن كل شيء بالقسطاس المستقيم . وهذا الذي سلمنا به نحن كاد يسلم به اجدادنا حتى اذا تجرأ احد منهم على نقده سلقوه بالسنة حداد منزهين ابن قتيبة عن كل شبهة ، مبتعدين به عن كل تهمة (1) . وما من شيء يضر الادب كما تضره المغالاة من النقاد سواء كانت هـــذه المغالاة سلبا او ايجابا .

ومع ايماني بسلامة ذوق ابن قتيبة وصحة احكامه فانني اعتقـد أننا لا نستطيع ان نرى وجهه رؤية سليمـــة الا اذا انطلقنا انطلاقـــا موضوعيا من كتابه ذاته ومن مختاراته الشعرية ذاتها ، لا لكـــي نطعن على الرجل كما قد يظن ولكن لنرى طابعه الخاص رؤية حقيقية بعيدة عن الحالات الضبابية .

وهكذا قرأت « الشعر والشعراء » للمرة الثانية محاولة ان اجيب بعد القراءة عن الاسئلة التالية :

- ما الاخبار التي اهتم بها الرجل ؟
- كيف كانت مواقفه النقدية من شعرائه ؟
- هل يمكن ان نعتبر روايته للشعر من افضل الروايات عنـــد المقارنـــة ؟
- هل كان يقف من الشعراء موقف المسجل ، وهل هناك جوانب من حياة الشعراء كان يريد طمسها ؟

والحقيقة انني لم اجد جديدا في عرضه لاخبار الشعراء وحياتهم، فهو ليس بدعا من النقاد العرب القدامى الذين كانوا يحكمون علـــى الشاعر بالبيت او البيتين وينظرون في سبقه الى المعاني واخذه مـــن غيره وما استجيد له او عيب عليه ، وقد لا يكتفي بسرد آراء الآخرين فيبدي رأيه الشخصي مفندا آراء لم تعجبه مثبتا وجهة نظره . ففـي اخبار امرىء القيس مثلا يورد ما يعاب من اقوال هذا الشاعر ومنـــه هذا البيت :

أغرك منـــي ان حبـــك قاتلـــي وأنك مهما تأمـري القلب يفعـل

وبعد ان يورد اقوال النقاد يعلق على هذه الاقوال مبينا رأيـــه الخاص : « وقالوا اذا كان هذا لا يغر فما الذي يغر ؟ انما هذا كاسير قال لآسره : اغرك مني اني في يدك وفي اسارك وانك ملكت سفك دمي . قال أبو محمد : لا ارى هذا عيبا ولا المثل المضروب له شكلا ، لانه لـم يرد بقوله حبك قاتلي القتل بعينه وانما أراد بانـــه قد برح بـي فكانه قد قتلني . وهذا كما يقول القائل قتلتني المراة بدلها وبعينها وقتلني فلان بكلامه ، فأراد : اغرك مني أن حبك قد برح بي وانك مهما تأمري قلبك به من هجري والسلو عني يطيعك أي فلا تفتري بهذا فاني أملك نفسي واصبرها عنك واصرف هواي » .

وفي هذا الشرح دلالة على دقة فهم ابـــن قتيبـــة للمعاني وحسن تذوقه للشعر ، فهو لم يبال بأراء النقاد بل اعتمد على عقله وسلامـــة حسه . ولكن النظرة الموضوعية جعلته لا يقلل من اهمية شروح مشايخه فهو يعرض آراءه وآراء الآخرين عرضا علميا مفصلا يمكن القاريء مـن معرفة ما يريده وما يريد سواه ليحكم بنفسه على ما يراه صوابا .

وما اكثر ما نصادف مثل هـــذه الشروح والتعليقات كما نصادف تفسيرات لغوية تحدد معاني الفاظ ترد في الشعر .

وفي روايته للشعر لا نجد تفردا بشكل معين اذ غالبا مـــا نجـد اتفاقا كاملا بينه وبين أجود المصادر ومن النادر ان يورد رواية خاصة تفضل عليها غيرها من الروايات كما في هذين البيتين لقتيبة بن مرداس فقد رواهما ابن قتيبة في الشعر والشعراء على انهما قيلا في الشاعـر حين برىء من كلب أصابه بعد شربه دواء أباله مـــا يشبه الكـــلاب والنمل (2) :

ولولا دواء ابـــن المحل وطبـــه هررت اذا ما الناس هر كليبهـا
واخرج بعـــد اللـــه أولاد زارع مولعـــة اكنافهـا وجنوبهـــا

---

1 ــ اشارة الى قول الحافظ الذهبي للحاكم حين طعن على ابـن قتيبة . فقد قال الحافظ الذهبي : « هذه مجازفة قبيحة وكلام من لـم يخف الله » .

2 ــ الشعر والشعراء ص ــ ٣٧١ ــ

وفي كتاب عيون الاخبار نجده ينسب البيتين للشاعر نفسه .. ونحن حين ننظر في معنى البيت الثاني لا نستطيع ان ندرك ما الذي يريده الشاعر ، ونظل محتارين حتى نعود الى كتاب الحيوان فنجد الجاحظ يورد البيت الثاني بهذا الشكل :

واخرج عبد الله اولاد زارع   مولعة اكتافها وجنوبها

ويصبح البيتان برواية الجاحظ مفسرين لقصة الشاعر وكيف تم شفاؤه على يد ابن المهل بعد ان بال ما يشبه الكلاب والقطط .

وكان بامكاننا ان نتهم النقلة لولا تكرر البيتين في كتابين من كتب ابن قتيبة . وهناك شيء آخر وهو ان « عيون الاخبار » ينسبهما الى الشاعر بينما « الشعر والشعراء » ينسجهما الى رجل قالهما فيه !

والسؤال الآن : كيف خفي على رجل ناقد مثل ابن قتيبة اضطراب معنى ناتج عن فساد رواية ومن عادته ان يصحح الروايات الفاسدة ؟

وغض النظر عن فساد رواية بيت او نسيان اسم شاعر لا يعد شيئا ، ولكن هناك اخطاء ليس من المعقول ان تخفى على رجل اعتبر في زمانه من اكابر رجال السنة ، فقد قال فيه صاحب التحديث بمناقب اهل الحديث : « وهو احد اعلام الائمة والعلماء الفضلاء .. » ومؤلفاته في الحديث معروفة .

يقول ابن قتيبة في اخبار عمرو بن معد يكرب الزبيدي « واخته ريحانة بنت معد يكرب التي يقول فيها :

امن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني واصحابي هجوع

وكانت تحت الصمة بن الحارث فولدت له دريد بن الصمة وعبد الله » .

هذا ما يقوله ابن قتيبة وياخذه عنه اكثر المحققين وفيه ما فيه من خطأ واضح ! فكيف تكون ريحانة اخت عمرو وتلد دريد بن الصمة فيكون عمرو خال دريد ودريد شهد حنين مع المشركين رجلا طاعنا في السن قد ناهز المائتين لا يستطيع ان يقدم في المعركة ولا يؤخر بينما عاش عمرو في الاسلام فترة طويلة وخاض كثيرا من المعارك وشهد القادسية وله فيها مواقف معروفة . ينقل العلامة احمد محمد شاكر عن الراجكوتي في حواشي اللآلي قوله : « من المحال ان تكون ريحانة اخت عمرو لان دريدا حين قتل هوازن ناهز مائتي سنة ، كما في المعمرين . وقتل عمرو سنة ٢١ هجرية وقد جاوز ١٢٠ سنة كما في الاحابة فليزم ان يكون ابن الاخت اكبر من الخال بنحو مائة سنة !! »

هذه قضية منطقية فطن اليها غير ابن قتيبة فكيف يسهو عنها وهو ممن لا يقتصر عملهم على النقل فقط ، واذا كان احس بما في الخبر من تناقض وغض البصر فلماذا ؟!

وهناك أشياء اخرى تدعو الى الريبة وهي ما يختاره من اخبار الشعراء الذين عرفوا بالمجون والزندقة .

ونستطيع ان نختار في هذا المجال اخبار بشار بن برد الذي لا يسكت كتاب قديم عن اخبار الحادة وزندقته ، وتكاد تجمع الكتب التي تترجم له على ان حادثة قتله ترتبط بمجونه والحاده . اما ابن قتيبة فيتحدث عن موت بشار على الشكل التالي : « وكان بشار هجا المهدي وذكر شغله بالشراب واللهو فامر به فقتل تغريقا في الماء » .

واما انباء زندقته التي ملأت الكتب مع الشواهد الشعرية التي تؤكدها فقد اشار اليها بقوله : « ويرمى بالزندقة وهو مع ذلك يقول : (٣) »

كيف يبكي لمحبس في طلول   من سيقضي اليوم حبس طويل
ان في البعث والحساب لشغلا   عن وقوف برسم دار محيل

وهذه الابيات تنفي عن الرجل فكرة الالحاد وتجعله زاهدا يخشى حساب يوم القيامة فيصرفه خوفه عن كل ما عداه .

اما مدحه لابليس وتفضيله النار على الطين والشيطان على آدم .. الى آخر ما قال في هذا المجال فلا نجد له ادنى اشارة . والذي يقرأ اخبار بشار في الشعر والشعراء لا يجد مطعنا عليه في خلق او دين وربما ملأت قلبه الشفقة على شاعر كبير لا تعجبه سيرة خليفة متهتك فيهجوه ويكون جزاؤه ان يموت غرقا . ولا ادري كيف يكون المهدي ضالا وبشار راشدا ، وهذا ما لا نجد له مؤيدا الا ابن قتيبة . قال الجاحظ « وكان بشار يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة ويصوب راي ابليس في تقديم النار على الطين . وذكر ذلك في شعره فقال :

الارض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مد كانت النار

كذلك اتهامه واصل بن عطاء بالالحاد في قصة معروفة . وحتى ذلك الخبر الذي ينقله صاحب الاغاني فيجمل المهدي يندم على قتل بشار لانه وجد في بيته ما يدل على ايمانه بالله ، يؤكد ربط قصة قتله بالالحاد ، ولولا ذلك ما ندم المهدي لانه وجد في بيت الرجل ما يدل على ايمانه بالله .

فلماذا يطرح ابن قتيبة من اخبار بشار ومن مختاراته الشعرية كل ما يشين بشارا ويستبقي ما يبرىء ساحته ويدل على قوة شاعريته مع ان ما ننتظره العكس من هذه الدعامة القوية من دعائم الدين والسنة !!

وفي اخبار ابي نواس نجد عند ابن قتيبة ميلا الى تشذيب سيرة الرجل وابعاد الشذوذ عنه ، وان كان لم يسلك السبيل ذاته الذي سلكه مع بشار ولم يعطف عليه كما عطف على صاحبه ؟

هل نستطيع ان نقول ان ابن قتيبة لا يحب ان يخوض في احاديث الفحش وهو فوق ذلك يلتزم جانب الصدق فيما يكتب ، واكثر ما دار من احاديث المجون والعبث ربما كان كاذبا الغاية منه التشهير المغرض من جهة والتسلية من جهة ثانية ، وهو اكبر من ان يتعصب لمذهب على مذهب فيدافع عنه ويحرص على تبرئة اصحابه .

اما ان يكون بعيدا عن احاديث المجون والعبث فهذا ما ينفيه كتاب « الشعر والشعراء » حيث ينقل الكثير من اخبار الشعراء التي قد تفوق اخبار بشار وابي نواس .

واما ان يكون بعيدا عن التعصب لمذهب معين فقد يكون صحيحا وهناك في الشعر والشعراء ما يدلنا على ان الرجل كان يتخذ موقفا معتدلا يناصر فيه ما يراه حقا ، ولعلنا نجد شيئا من قصده واعتداله في قصيدة اوردها للنجاشي الحارثي في معاوية على انها من افضل الشعر :

يا ايها الملك المبدي عداوته   روىء لنفسك اي الامر تأتمر
واعلم بان علي الخير من نفر   شم العرانين لا يعلوهم بشر
نعم الفتى انت ، الا ان بينكما   كما تفاضل ضوء الشمس والقمر
وما اخالك الا لست منتهيا   حتى يمسك من اظفاره ظفر

فالرجل مقتصد فيما يكتب لا يحب المبالغة ولا يدفعه التعصب الى تفضيل فئة على فئة ، وفوق ذلك انه جرىء صريح ، نقول هذا ونحن نقرا ترجمة الشاعر يحيى بن نوفل اليماني ، هذا الشاعر الذي لم تترجم له المصادر مع ان اشعاره متفرقة في الكتب وانفرد ابن قتيبة بالترجمة له .

ولا نستطيع ان نعلل سبب اعراض الكتب عنه الا بسلاطة لسانه وجرأته على الحكام وتشهيره بمفاسدهم . أما ابن قتيبة فقد ترجم له واورد من اشعاره ما يعطينا صورة صادقة عن حياته مما يمكننا معه ان نقول انه ترجم له لانه وجده ليس أقل شاعرية من غيره ، ومن حقه ان يحتل مكانة ادبية مناسبة .

هذا ما نقوله ونحن نزعم ان ابن قتيبة مقتصد معتد في احكامه ، بعيد عن التعصب في اقواله يملك الجراة الكافية بأن يقول ما يشاء ولا تاخذه في الحق لومة لائم .

لقد رأيناه ذواقة للشعر حسن الرواية له كما رأيناه يمتلك منهجية رائعة فيما اذا قيس بمعاصريه ، يضاف الى ذلك جراة قوية في

٣ ـ الشعر والشعراء ص ـ ٧٥٧ ـ

تحية البصرة

نظمت بمناسبة انعقاد مؤتمر (المربد) في البصرة الذي اقامته وزارة الاعلام العراقية عام ١٩٧١

يا بنت دجلة والفرات … حياك تاريخ الهداة
ورعاك وعي المخلصين … عليك من شبح الشراة
وحنت عليك ضلوعها … الاحقاب من جور البغاة
وهفت اليك من الفحول … خرائد ومن الدهاة
وتعهدتك سوانح الافكار … في شتى الهبات
واحتكت الآراء في … مغناك من كل الجهات
وتزاحمت فيك المواهب … واستقامت للبداة
لا زلت من الف وحتى الآ … ن عاطرة الشذاة

مرت عليك الحادثات … مليئة بالمرجفات
فصمدت للبلوى بما فيها بكل العاصفات
حتى اذا مرت جيوش … الفاتحين بكل عات
كنت المنار هدى وكنت … لظى على كل الطغاة

زهت الحضارة في ربوعك … واستفاقت من سبات
وتعطرت برؤى (ابن سيرين) … لتلك الحالمات
وتوسمت بالمدلجين … على هداك خطى الحداة
(الجاحظ) الجبار ملء فم … الزمان الى الرواة
والعبقري الفذ معجزة … القرون ابو النحاة
وابن ((الفراهيد)) الذي … سن العروض الى الشداة
لا زال ربعك بابن (برد) … شاخصا عطر السمات
يهدي الى السمار نفح … قريضه والى الرعاة
الرابض الابدي فيها … رائح ابدا وآت
والجرف في جنباته … يزهى بتلك الباسقات
وتكاد تلمس بينها … حلم العذارى الساهمات
من بعد نجوى طال واستحلى … وآل الى شتات

بغداد … عبد الكريم الدجيلي

دحض الاحكام ومعرفة بأساليب المجادلة . ولكن يجب الا يغرنا هذا كله ! فليس الرجل معصوما عن الخطا ، كما قد توهمنا ، وليس بعيدا البعد كله عن الهوى وعن كل ما يشين ، والا فبماذا نفسر اهماله هذا الجانب الهام من حياة بشار وتعمد طمسه ؟

لقد تجلت في كتاباته أخطاء واضحة لا يمكن ان يتهم بها النقلة ورأينا سهوه عن بعض المتناقضات في اخبار الشعراء وتعمده طمس جانب ضخم من حياة شاعر معروف وتصفية حياة غيره من الادران .

وفي اعتقادي أننا نستطيع ان نقول : ان ابن قتيبة ركن اساسي من اركان ثقافتنا اللغوية والادبية والدينية ولكنه ليس بعيدا عن الهوى ولا منزها عن الخطا . انه مقتصد الى حد ما ومعتدل ولكن اعتداله لا يتجاوز ظواهر الامور .

واذا كان ذلك كذلك فنحن بحاجة الى ان نعيد النظر في مؤلفاته وان نناقشها مناقشة موضوعية منهجية لعلنا نكشف عن الوجه الاصيل للرجل ونعرفه معرفة حقيقية تفيد الادب وتخدم التراث. وربما استطعنا ان نفسر اشياء كثيرة لم نستطع تفسيرها حتى الآن لاننا كنا ننظر نظرة تقديس الى ابن قتيبة .

دمشق … سكينة الشهابي

النارجيلة

تاج يشع على السنين ... بثواقب دون الجبين
خرزاته النيران عاصفة ... تهول الناظرين
تجلو ثواقبها الهموم ... ولاعج الداء الدفين
وتثير بالذكرى جوى ... دون الجوانح والجفون
قدحت جوائح نارها ... بالنفس نيران الحنين
فجرت دموع من شجا ... واهتز من شجو حزين
النجم في حلك الدجى ... يذكو ويسطع للعيون
ونجومها لا تأتلي ... وضاءة في كل حين

ضمت من البلور ثوبا ... سال من هيف ولين
شفت طرائق نسجه ... كاشعة الفلق المبين
بلورها من رقة ... همس الوساوس والظنون
والماء في أحضانها ... صخب وطورا مستكين
يتلو أقاصيص الهوى ... ويقصها للسامعين
تلقاه يسهب تارة ... وتراه يوجز من شجون
هو واللظى متجاوران ... معا على كر السنين
ضمتها (نارجيلة) ... ضم المتيم باليمين

خرطومها عبق الشذا ... للطامعين الحالمين
حسب الشقي به الدواء ... البكر للقلب الطعين
فاكب يكرع من سراب ... الوهم مرا كالوزين
ويمجه سحبا كغاشية ... الدجى سوداء جون
رقت حواشيها كوشوشة ... السواجع للغصون
وجرت بأجنحة النسيم ... تشق أسداف السكون
سحب تثير حزازة ... ولواعجا لا ينقضين
وتهيج بالذكرى الدموع ... على كرام راحلين

هي سلوة لمتيم ... كانت على الدهر الخؤون
ومنار من ضل الطريق ... من الحيارى التائهين

. . . .

تحلو على حرق المرار ... سمومها للشاربين
بالنار تعذب ريحها ... وتطيب كالماء المعين
ومن العجائب لاتني ... تروي العجائب بالانين
قد أعربت بانينها ... وشفت وجاءت بالمبين

دمشق ... عدنان مردم بك

يا الهي .. انها هي .. سميحة .. انت يا سيدتي من فضلك لحظة واحدة .. وتوقفت السيدة الرائعة الجمال التي كانت ممسكة بيد طفلتها ، وتوقفت فجأة ثم التفتت ناحيته واحمر وجهها ثم حاولت ان تسير .. حاولت بكل جهد ان تنتزع قدميها ولكنهما كانتا قد تسمرتا في الارض . لم تستطع حراكا .. شلتها المفاجأة فقد كان ما توقعته ان الصوت صوته والصورة صورته والدهشة البالغة المرتسمة على وجهه زادتها انفعالا .. ذكرتها بالايام الماضية .. الايام الجميلة التي مرت بها وهي حبيبة الى قلبه وهو حبيب الى قلبها ..

ماضي بعيد .. لماذا يعود هكذا فجأة وبمنتهى القسوة .. انها زوجة وام لطفلة جميلة .. ماذا يريد هذا الرجل .. ؟ لقد خانها .. انه خائن تذكرت ما حدث .. تذكرت كل شيء واصابتها الرعشة ... كيف يجرؤ على التحدث اليها .. كيف يجرؤ على مخاطبتها .. لماذا يستوقفها في الطريق .. لولا ان الطريق خالية لتطلعت اليها عيون الناس .. ماذا يريد سامي بعد كل ما فعله ..

وحاولت ان تسير ولكنها لم تستطع واقترب سامي منها ثم مد يده لمصافحتها ودون ان تدري امتدت يدها وامسكت بيده وضغط على اصابعها واصابتها قشعريرة هائلة .. انها تكاد يغمى عليها .. انها في حاجة ليده لتسندها ..

واقترب منها ثم امسك بذراعها ومد يده الاخرى وامسك بيد الطفلة الحلوة وامسكت الطفلة بيده واخذت تقفز من حولهما ولدهشة امها سمعتها تناديه بكلمة « بابي » وابتسم لها سامي ثم حملها بين ذراعيه وقبلها قبلة ابوية ولدهشته وجد الدموع تملأ عينيه واندهشت سميحة وسألته :

لماذا تبكي يا سامي وقد كنت السبب ؟ .. لقد تخليت عني .. لماذا تبكي الان وبعد ان انتهى كل شيء .. لقد تزوجت اول انسان طرق بابي .. لماذا قابلتني واين كنت طوال هذه السنين الطويلة .. لماذا تخليت عني .. وبكت سميحة وسكبت الدموع ...

بكت من قلبها وتمزق قلب سامي الما وهمس في اذنها قائلا ليس الان وقت العتاب حتى لا يتنبه الينا الناس .. هيا لنجلس في احد الاماكن وليكن كازينو الشاطىء حتى نستطيع ان نتكلم بهدوء وفي حرية تامة واستطيع ان اقدم شيئا للصغيرة .. كم احببتها .. انها ملاك طاهر بريء .. انها جميلة جدا ... وانحنى على الطفلة وقبلها



بقلم السيد ابراهيم

وتعلقت الطفلة برقبته ثم قبلته ودمعت عينا الام .

ثم سار الثلاثة في طريقهم الى الكازينو ، وتحت احدى المظلات جلس الجميع وطلب سامي مشروبات مثلجة واحضرها الجرسون ثم بدأ الحديث .. سألته بانفعال :

لماذا خنت عهدي ..ولماذا ارسلت الي في يوم اسود رهيب جميع خطاباتي مع صديقتي فتحية .. ؟ كان يوما كئيبا .. لم اعرف سببا لفعلتك فحقدت عليك وتزوجت اول



طارق لبابي .. ومرت الايام والشهور وانا تعيسة وعندما اصبح لي طفلة صغيرة نسيت عذابي وبدأت صورتك تنمحي من ذاكرتي او هكذا ظننت حتى التقينا اليوم فلماذا التقينا ؟.

ورد سامي : التقينا لنصفي حسابا قديما ، ولاشرح لك كل شيء لا لسبب الا لاحصل على عفوك وعلى احترامك .. لقد كنت قاسيا ولكن متى عرف السبب بطل العجب .. تعلمين كم كنت احبك ، ومنذ ان التقينا ذلك اللقاء الاسطوري على غير موعد .. فتى من اقصى وجه بحري وفتاة من اسيوط طالبة تهوى المعسكرات والرحلات والفنون والآداب ، وموظف يعمل في اسيوط له محاولات ادبية لم يتحمل العيش في اسيوط فسافر الى القاهرة وبذل من المساعي والجهود الشيء الكثير وتم له ما اراد ثم عاد اليك يزف اليك البشرى فقد وافقت الشركة التي يعمل بها على نقله الى القاهرة .. انه سعيد بهذا الخبر ... سعيد بانه سيستطيع ان يأخذك معه الى القاهرة ... سعيد بانه سيستطيع ان يشق طريقه الادبي في القاهرة من اجل مستقبل افضل ومن اجل حياة اجمل ... وقاطعته سميحة قائلة :

ـ حقا ما تقول .. لقد اسعدني النبأ في اول الامر ثم ما لبث ان غشيني حزن هائل وعميق ..وكيف اضمن انك لن تنساني وان القاهرة وبناتها الفاتنات سيحولن قلبك عني، وتألمت ولكنني استطعت ان اخفي احزاني حتى تشعر بالحرج وحتى لا تنتبه لشكوكي ثم كان ما كان وسافرت وانقطعت اخبارك عني بعد دوام اتصال ثم كانت النهاية القاسية التي اخترتها انت ... واسرع سامي يقول :

ـ لا تتسرعي في اتهامي يا سميحة ... اقسم بحبك انني لم اتهرب منك .. بل واقسم بك انت وبحبك القوي انني كنت ضحية ولم اكن

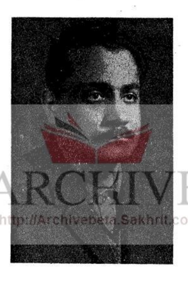
مخادعا ، فعندما اخبرتك بنقلي كنت سعيدا .. حسبت ان الدنيا كلها ستكون ملك يميني وانه في استطاعتي في بحر سنوات قلائل ان اكون نفسي واهيء لك العيش الجميل الذي طالما حلمت به ... هكذا كان ظني انا ، لو كنت عرفت ان سفري سيكون بلا رجعة وانه سيكون خاتمة المطاف لقبلت العيش في اسيوط ولتزوجنا ولظللنا حتى آخر العمر ولكن الذي حدث كان مخيبا لآمالي ، فطريق الادب غير مفروش بالورود ، فهناك شبه احتكار وهناك عقبات هائلة تحتاج لصبر ايوب وتحتاج لتضحيات جسام ثم في النهاية لا شيء سوى النزر اليسير ، هذا هو سوق الادب اليوم وامس .

وهكذا حاولت ان اجمع شيئا من المال يساعدني على ان اتقدم لاهلك لخطبتك والانتظار حتى يتم جمع المهر ، ولكن المال قليل والظروف قاسية ولم استطع ان افعل شيئا واخفيت عنك كل شيء لم استطع ان اخبرك بالحقيقة حتى لا تتألمي وحتى لا يصيبك اليأس وحتى استمد من روحك قوة ومن عزيمتك ارادة ، ولكن اتت الرياح بما لا تشتهي السفن .. فقد انهالت علي النكبات .. اصابنا القدر بطعنة هائلة يوم غرق اخي ، واخبرتك بالمأساة ولكن لم اخبرك بما جرته علينا من نكبات فقد كانت فالا سيئا — فقد اثرت على صحة والدي لضعفه فاستبد به المرض ثم اخذه الموت وتركني وسط الآلام ، ووسط اسرة في حاجة لمساعدتي ، فقد انهك المرض الطويل الذي ابتلى به ابي مواردنا المالية حتى كادت ان ينضب معينها، وكان عليّ واجب كبير نحو اخوتي الذين يتعلمون ووالدتي المريضة ، ثم نحو الديون التي ابتلينا بها ... وهكذا صار ما اكسبه يكاد يكفي هذه المصروفات .. وقاطعته سميحة بتأثر :

— ولماذا لم تخبرني بكل هذا ..؟ ورد سامي بألم قائلا :

— وماذا كنت تصنعين انت .. ؟ وقالت سميحة وقد هالها ما سمعت:

— لقد كنت قاسيا مع نفسك.. لم تصارحني بشيء ، وعندماصدمت بما ارسلته لي مع فتحية حقدت عليك وكان الانتقام .. كان الزواج دون حب ، ولدهشتي كان حظي عظيما ، كان زوجا مثاليا انسانا بكل معنى الكلمة ، ظل يطغى بشخصيته وحنانه على كل عواطفي حتى انمحت



السيد ابراهيم

●

صورتك من ذاكرتي واصبحت خيالا واصبح الماضي ذكرى لا احاول بعثها الى الوجود حتى كان ذلك اللقاء الغريب وحتى التقيت بك اليوم وكانت مصادفة غريبة لم اكن اتوقعها فقد كنت يائسة من اي مصادفة قد تجمع يوما بيني وبينك ولكن شاءت الاقدار ان نلتقي ... والغريب انني اليوم لم اكن انوي النزول الى البحر .. وابتسم سامي وهو يقول :

— هكذا شاءت الاقدار ان نلتقي وان نتحدث وان نعرف لماذا حدث وما حدث وكيف حدث واقسم لك انني تعذبت اكثر من اي انسان وتألمت اكثر من اي انسان ،وانعكس ذلك على قصصي وعلى افكاري حتى بت معروفا بأنني « عاشق الاحزان » من كثرة ما ابكيت ابطال قصصي ومن كثرة ما اغرقتهم في المآسي وفي النهاية اضطررت ان اتخذ ذلك اللقب واصبحت اكتب بذلك الاسم ... وقالت سميحة :

— اذن انت عاشق الاحزان .. انظر .. هذه هي آخر قصصك .. غريب امري وامرك .. كنت احس ان هذا الاديب يكتب ويبكي من اجلي فاقبلت على كل انتاجه وعندي مجموعتك كلها منذ ان كتبت قصة « الامل الضائع » وحتى قصتك الاخيرة « الوداع » وسألها سامي : وهل قرات « الوداع » .. وما رايك في نهايتها ..

وردت سميحة وظل ابتسامة يكاد يرتسم على فمها الدقيق : ان النهاية منطقية فماذا تفعل البطلة بعد كل تلك السنين ، بعد الفراق وبعد ان تزوجت ، لو كانت انسانة غير شريفة لرحبت بلقاء حبيبها بعد طول بعاد ولكنك انت يا سامي اخترتها انسانة شريفة تقدس الشرف .. لذلك كان لا مفر من الوداع .. قالتها ثم نظرت اليه لترى تأثير هذه الكلمات على وجهه واحزنها ان راته يبكي وسألته لماذا تبكي ؟ ... ورد سامي قائلا وهو يحاول ان يتمالك نفسه .. لا شيء انني لا ابكي .. انني متألم من اجل البطل فقد كان موقفه سيئا ولكن في النهاية شعر بانه تحرر من الشعور بالذنب ... تحرر من الخطيئة التي تجثم فوق صدره ... تحرر من الشعور بأنه مخطىء بعد ان اعترف لحبيبته بكل شيء .. لقد كانت كريمة كما تخيل هو دائما .. غفرت له وفهمت كل شيء ... فهل يا ترى اطمع انا

المغترب

●

أمسى رفيق اغترابي ... أنشودة في غياب
قضت عليه الليالي ... بهجر أم وآب
وزوجة وبنين ... وشلة من صحاب
فراح يغزو الاماني ... بعزمه الوثاب
يشق صدر العوادي ... سعيا وراء الرغاب
والحظ يبسم آنا ... وآنة في اكتئاب
فكم طوى من حجار ... وكم طوى من عباب
وكم تجرع كأسا ... مليئة بالصباب
وجابه الموت ألفا ... على دروب الصعاب
لعل يظفر يوما ... من بعد طول الغياب
بالمال .. والمال رهن ... بكف لص مراب
فخاب ظنا وخابت ... آماله بالاياب
حتى انتهى وتوارت ... عيناه خلف الضباب
وكفنته الرزايا ... بحفنة من تراب

أمسى رفيق اغترابي ... أنشودة في غياب
من بعد عيش مرير ... مغلف بالعذاب
وكل مأساة هجر ... قصيدة في كتاب

جبيل ــ لبنان ... **شكر الله الجر**

الآخر في عفوك ؟ .. لقد اعترفت لك بكل شيء كما سبق لي الاعتراف بكل شيء في قصتي « الوداع » وكانني كنت اتنبأ بما سيحدث .. فهل اطمع للمرة الثانية في عفوك ؟.

ودون ادنى تردد امسكت يده بيدها الرقيقة ثم ضغطت عليها برفق وقالت :

لقد غفرت لك منذ زمن بعيد ، منذ ان قرات قصة « الوداع » لقد وصلت رسالتك الى اعماقي ، كنت **احس انها كتبت لي لكي اقراها ،** ولكنني عندما قابلتك اردت ان **اختبرك ..** اردت ان اسمع نفس الكلام من فمك .. اردت ان اراك تتحدث بانفعال ، اردت ان اغسل احزاني .. اردت ان اشبع وان اختزن صورتك في عقلي وكياني لاننا لن نلتقي فلكل منا قدره وانا زوجة وام وانت لا ترضى ان اتخلى عن رجل وقف بجواري في محنتي ولا ترضى ان تفقد « منى » ابنتي اباها ..

ابتسم سامي ابتسامة حزينة وقال بصوته الرقيق : اقسم لك يا سميحة انني لم افكر في ان اكون سببا في شقائك لانني ومنذ البداية اخترت سعادتك ولا يحق لي ان اسلبك اياها الان .. لقد انزاح الكابوس من على صدري بعد ان اعترفت لك .. اما الان فوداعا يا سميحة .. وداعا لا لقاء بعده .. وداعا يا منى .

ونهض واقفا ثم حمل الطفلة وقبلها قبلة اودعها كل حبه وحنانه ثم وضعها برفق بجوار امها وانتزع ساقيه انتزاعا ثم سار في طريقه لا يلوي على شيء تودعه نظرات حزينة ويبكي من اجله قلب لم يعرف طعم السعادة من يوم ان افترق عنه .

القاهرة ... **السيد ابراهيم**



محمـد العدناني

معجم الاخطـاء الشائعـة

بقلم محمـد العدناني

* * *

قسس

ويجمعون القس (بفتح القاف وتضعيف السين) علـى قسس (بضم فضم). والصواب : هم قسوس (بضم القاف) وقساوسة وقسيسون. وقد جاء في الآية (٨٥) من سورة (المائدة) قوله تعالى : لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذيـن قالوا انـا نصارى ، ذلـك بـان منهـم قسيسين ورهبانا ، وأنهم لا يستكبرون .

والقس (بفتح فتضعيف) هو : رئيس مـن رؤساء النصارى في الدين والعلم ، وقيل هو الكيس (بفتح الكاف وتضعيف الياء المكسورة) العالم ، وهي هنا سريانية الاصل . والقس والقسيس (بكسـر فسين مضعفة مكسورة) بمعنى واحد .

وللقس (بفتح القاف) معان عديدة ، منها ما يأتي :

١ ـ قس ما على العظم يقسه (بضم القاف) قسا : أكل ما عليه من اللحم ، وأخرج مخه .

٢ ـ قس الابل أو الدابة قسا : ساقها .

٣ ـ قس السير قسا : أسرع .

٤ ـ القس : الصقيع .

٥ ـ القس (بفتح القاف وضمها وكسرها) : النميمة .

٦ ـ قس الشيء يقسه (بضم القاف) قسا (بفتـح القاف) : تتبعه وتطلبه .

٧ ـ قست الناقة تقس (بضم القاف) قسا (بفتـح القاف) : رعت وحدها .

٨ ـ القس : صاحب الابل الذي لا يفارقها .

أما القسس (بضم فضم) فمن معانيها :

١ ـ العقـلاء .

٢ ـ الساقة الحذاق .

٣ ـ الابل التي ترعى وحدها . مفردها : قسوس (بفتح فضم).

٤ ـ النياق التي تضجر ويسوء خلقها عنـد الغضب ، مفردها : قسوس (بفتح فضم) .

٥ ـ النياق التي لا تدر حتى تتنبذ . مفردها : قسوس أيضا .

القشطـة

ويسمون الطبقة الرقيقة التي توجد فـوق الحليب قشطـة (بكسر فسكون) . والصواب : القشدة (بكسر فسكون) ، أو الكثاة (بضم الكاف او فتحها وتسكين الثاء) ، أو الاثـر (بكسر فسكون) ، او الخلاصة ، أي : خلاصة الحليب . أمـا القشطة (بكسر فسكـون) فشجر حديث العهد في البلاد العربية ، ويسمونه السفرجل الهنـدي أيضا ، ولب ثمره يشبه قشدة الحليب .

قصارى القول

ويقولون : قصارى (بضم القاف) القول . والصواب : خلاصة القول، او : صفوته . أما قصارى فمعناها : الجهد والغاية . فنقول : قصارك (بفتح القاف) ، او قصيراك (بضم ففتح فسكون) ، او قصرك (بفتح فسكون) ، او قصارك (بضم القاف) ، او قصاراك (بضم القاف) ان تفعل كذا ، أي : جهدك ، وحسبك ، وكفايتك ، وغايتك ، وآخر أمرك، وكل مستطاعك هو ان تفعل كذا .

والقصر (بفتح فسكون) هو : كفك النفس عن الطمع والطموح .

قضـب

ويجمعون القضيب ، وهو السيف القطاع ، او السيف اللطيف الدقيق، على قضب (بضم فسكون) . والصواب ان يجمع على قضب (بضم فضم) .

ويسمى الغصن قضيبا ، ويجمع على قضب (بضم فسكـون) ، وقضب (بضم فضم) ، وقضبان (بضم فسكون) . امـا قضبـان (بكسر فسكون) فهي اسم للجمع .

ويقال للسيف القاطع ايضـا : قاضب ، وقضاب (بتضعيف الضاد) ، وقضابة (بفتح فتضعيف) ، ومقضب (بكسر فسكون فتح).

يقتضي لـه

ويقولون : يقتضي لتاليف الكتاب كذا من الوقت . والصواب : يقتضي تاليف الكتاب كذا من الوقت ، أو : يستدعي كـذا من الوقت ، او : يستوجب كذا من الوقت .

وللفعل (اقتضى) عدة معان ، منها :

١ ـ اقتضى منه حقه اقتضاء : طلبه منه وأخذه .

٢ ـ اقتضى الامر الوجوب : دل عليه .

٣ ـ اقتضى الدين وغيره : طلبه وقبضه .

ومن المجاز : افعل ما يقتضيه كرمك ، أي : ما يطالبك به كرمك.

تقطب وجهـه

ويقولون : ما كاد يراه حتى تقطب (بفتح ففتح فتضعيف) وجهـه . والصواب : ما كاد يراه حتى قطب (بفتح الطاء) قطبا (بفتح فسكون) وقطوبا (بضم القاف) ، أو : قطب (بتضعيف الطاء) تقطيبا ويجوز أن نكتفي بقولنا (قطب) دون ان نذكر الوجه بعدهـا ، ومعنى قطب

(بفتح الطاء) وقطب (بتضعيفها) : زوى (بتضعيف الواو المفتوحة) ما بين عينيه وكلح . ومعنى كلح : أفرط في تعبسه . اما الفعل تقطب (بفتح ففتح فتضعيف) فلم يسمع عن العرب .

ركب القاطرة او ركب القطار

ويقولون : ركب فلان القاطرة البخارية ، أو : ركب فلان القطار . وكلمتا (قاطرة) و (قطار) استعملتا هنا خطا ، لان (القاطرة) هي التي اطلقها المتاخرون على الآلة البخارية او الكهربائية التي تجر القطار والتي اقرها مجمع اللغة العربية الملكي بمصر في الجدول رقم ١٥٨ .

اما القطار والقطارة من الابل ، فعدد منها ، مشدود بعضه الى بعض على نسق ، الواحد فيه خلف الاخر . وجمعه : قطر وقطرات (بضم الحرفين الاولين فيهما) . وقد شبه الكتاب منذ زمن بعيد العربات التي تسير فوق الخط الحديدي ، على نسق واحد ، بقطار الابل ، ووافق المجمع نفسه على ذلك في جدوله رقم ١٦١ . وأطلق اسم (قطار البضاعة) على قطار الشحن في جدوله رقم ١٦٦ .

وبما ان الانسان يركب جملا واحدا من القطار ، لا القطار كله ، او يركب عربة واحدة من عربات القطار ، لا العربات كلها ، لذا كان الصواب أن نقول : ركب فلان احدى عربات القطار .

والغرفة الصغيرة التي يحل بها ، يسميها المولدون قمرة (بفتح فسكون) ، ولا ارى ما يمنعنا من استعمالها ، ما دمنا لا نعرف كلمة اخرى تؤدي نفس معناها . وهي معربة عن كلمة (كاميرا) الايطالية . وما على من يابى استعمال كلمة معربة ، الا ان يسميها : غريفة (بضم ففتح فسكون) .

قطط

ويجمعون قط (بكسر فتضعيف) على قطط (بكسر ففتح) . والصواب : قطاط (بكسر القاف) وقططة (بكسر ففتح) . والانثى : قطة (بكسر فتضعيف) .

وقد أطلق مجمع دمشق اسم القط (بكسر فتضعيف) على كتاب الحساب الشهري براتب الموظف في الدولة ، وهو المعروف ب (البوردرو) . وجمعه قطوط (بضم القاف) ، واصله الشيء المقطوع عرضا .

ومن معاني القط (بكسر فتضعيف) :

١ ـ الصك بالجائزة .

٢ ـ الصحيفة المكتوبة .

٣ ـ الكتاب ، او كتاب المحاسبة .

٤ ـ الساعة من الليل .

احمر قانيء

ويخطئون من يقول : احمر قانيء . ويقولون بان الصواب هو : احمر قان ، لان الفعل هو : قنا يقنو قنوا (بفتح فسكون) لون الشيء : كان احمر قانيا ، وهو احمر قان ، اي : شديد الحمرة .

وهذا صحيح ، ولكن هنالك فعلا اخر مهموزا ، هو الفعل : قنا يقنا قنوءا الشيء : اشتدت حمرته . وفي الحديث الشريف : مررت بأبي بكر ، فاذا لحيته قانئة ، اي : شديدة الحمرة .

لذا يجوز الوجهان : احمر قان واحمر قانيء .

قنال السويس

ويقولون : قنال السويس . والصواب : قناة السويس ، وهي القناة العربية الموصلة بين البحرين : الابيض المتوسط والاحمر . اما كلمة (قنال) فهي لاتينية **Canalis** . وتطلق العامة على القناة اسم (ترعة) ، مع ان الترعة في اللغة هي مفتح الماء الى الحوض ، او الى الارض ، او الى الجدول من النهر ، وهو فوهة الجدول .

قن الدجاج

ويسمون بيت الدجاج قنا (بكسر فتضعيف) او قنا (بضم فتضعيف) . والصواب : خم الدجاج (بضم الخاء وتضعيف الميم) . والجمع : خممة (بكسر ففتح) .

أما العبد القن (بكسر فتضعيف) فهو الذي ولد عندك ، ولا يستطيع ان يخرج عنك . قال الاصمعي : القن هو الذي كان أبوه مملوكا لمواليه ، فاذا لم يكن كذلك فهو : عبد مملكة . وفي الاساس : عبد قن (بتنوين الدال والنون) : ملك (بضم فكسر) هو وأبواه .

ومن معاني القن (بضم فتضعيف) :

١ ـ قن القميص : كمه . ويجوز : قنانه (بضم القاف) وقنوانه (بفتح ففتح) .

٢ ـ القن : الجبل الصغير . وجمعه : قنن (بضم ففتح) ، وقنان (بكسر القاف) ، وقنون (بضم القاف) .

٣ ـ قلة (بضم فتضعيف) الجبل .

والقن (بفتح فتضعيف) هو الجبل الصغير ايضا .

قيموا الدار

ويقولون : قيموا (بتضعيف الياء) الدار ، أي : جعلوا لها قيمة معلومة . والصواب : قوموا الدار تقويما ، لان الفعل واوي .

أما كلمة (قيمة) ، فياؤها منقلبة عن واو . وفي الاعلال ان كل واو تقلب ياء اذا كانت ساكنة وكسر ما قبلها .

عقد قيم وكتاب قيم

ويقولون : عقد اللؤلؤ هذا قيم (بفتح فتضعيف الياء المكسورة) . والصواب : نفيس ، أو ذو قيمة عالية ، او غالي القيمة ، لان القيم في اللغة هو المستقيم . ومنه قوله تعالى : فيها كتب قيمة (سورة البينة ، الآية ٣) ، أي : مستقيمة تبين الحق من الباطل .

وفي الحديث : ذلك الدين القيم ، أي : المستقيم الذي ليس فيه زيغ ولا ميل عن الحق ، وهو من المجاز .

وجاء في الآية الخامسة من سورة البينة : وذلك دين القيمة (بفتح فياء مضعفة مكسورة) ، أي : دين الملة المستقيمة .

والقيم هو :

١ ـ السيد وسائس الامر .

٢ ـ قيم القوم : هو الذي يقومهم ، ويسوس امرهم .

٣ ـ قيم المراة : زوجها ، لانه يقوم بأمرها ، وما تحتاج اليه .

٤ ـ أمر قيم : مستقيم (التاج) .

٥ ـ خلق قيم : حسن (التاج) .

ولم يرد في أمهات المعاجم العربية ان لكلمة (قيم) تعني (النفيس) . ولو سلمنا مع مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجمه الوسيط ان معنى القيم هو : ذو القيمة ، لما وجدنا في ذلك ادنى مدح للشيء الذي نقول انه قيم ، لان كل شيء تقريبا ، لا بد ان تكون له قيمة كثيرة او قليلة . لذا وجب ان نقول عن الشيء الثمين : ذو قيمة غالية ، او غالي القيمة ، او نفيس ، او كريم .

القيم على الايتام

ويقولون : فلان هو القيم (بفتح فياء مضعفة مكسورة) على ابناء اخيه الايتام ، والمتصرف في اموالهم على أحسن وجه . والصواب : فلان هو الوصي على ..... ، لان الوصي يحق له ان يحفظ مال الرجل لاولاده ، ويتصرف فيه على وجه نافع ، بينما (القيم) يفوض اليه حفظ ذلك المال ، دون التصرف فيه .

صيدا ـ لبنان

محمد العدناني

عـدوة المـلاح

✶

شمت ذاتي ظلا لكل جريمة ... فتحاميت هجس روح ذميمه
وتفيأت من وريف الاماني ... ذكريات ، عن كل ثدي فطيمه
حسبنا يا يراع نعبث بالقلب، ... وحسب الصدى، وحسب العزيمه
مال صاريك بالشراع على المـ ... ـاء ، فودعه، واحترس ان تقيمه
واترك القارب العتيق على الشـ ... ـط ، يؤاسي نسف الرياح كلومه
عاتب أنت يا يراع ؟ فما الذنـ ... ـب ، اذا أنزل الزمان همومه
تجنح الريح للذرى بالسوافي ، ... فلم السرح لم يفارق تخومه
أنا ، من مدمع الفؤاد أساقيـ ... ـدم الهمس أغنيات رخيمه
أنا ، ماذا علي ؟ ان اصبح الدهر ... رمادا ولم أفقىء نجومه
أنا ..؟ عودتك الاباء فعافوك ... اباء ، وجرعوك سمومه

جئت قدس الحياة أرفع .... علي .... ، فطار شتيمه
وسكبت الشراب للانفس الظمأى ... فلابت على الرمال كظيمه
وحملت الوفاء يثمر في الناس ... اخاء ، فثمروه نعيمه
وطلبت الوجود ظل نعيم ... يتفيؤنه ، فعافوا نعيمه
رقصوا للهيب في موقد الثأر ... وداسوا على القلوب اليتيمة
يكرهون الحياة ان هزها الـ ... حق .. بلى يكرهونه الحق شيمه
فدماء الموتى .... وأكبادهم قصاع الوليمه
بدموع الايتام غذوا المصابيـ ... ح ، وتاهوا عبر الليالي البهيمه
واستساغوا الرغيف دون جباه ... عرقت دونه وأيد حطيمه
روعتهم أرماسهم فغذوها ... بالتفاني ، على الدروب الاثيمه
يا رياح الاموات طوفي بقتلا ... نا . فان الحياة أرخص قيمه
و ... مثلنا بأرواح صرعانا ... ومدي لهم سماط الجريمه
وابذري الملح بالجراح لعل الـ ... حس غاف تحت الجراح الاليمه
صرت أخشى عري الحقيقة، واله ... ـري كريه على النفوس السقيمه
مزقي الستر واطرحي بردة الليل ... وردي عن كل قلب غيومه
كيف يهوى اليقين من ليس يخشى ... دون شمس اليقين عار الهزيمه

لويس رزق



فارس الخوري

فارس الخوري الاديب والشاعر

في الذكرى السنوية العاشرة .. لوفاته

بقلم محمد الفرحاني

* * *

مرت بنا .. في الثاني من كانون الثاني ١٩٧٢ .. الذكرى السنوية العاشرة لوفاة علامة العرب الكبير الزعيم السياسي الشهير الاستاذ فارس الخوري الذي كان افتقده العالم العربي في مساء الثاني من كانون الثاني ١٩٦٢ في وقت هو أشد ما يكون حاجة لامثاله ولما يتمتع به من عقل راجح وفكر نير وراي صائب .. وخبرة واسعة وتجارب لا يحصيها العد ..

ولقد طغى الحديث عن فارس الخوري بأنه عالم حقوقي ، وخطيب مفوه ، وسياسي بارز ، ادى لامته العربية خاصة ، وللانسانية عامة ، أجل الخدمات واثبتها اثرا في التاريخ المعاصر .. وقل من يعرفه شاعرا فحلا يقتدر على المنظوم اقتداره على المنثور ..

ولا شك أن الشعر يدخل احيانا في عداد ملكات الخطابة من حيث هو ابانة وتعبير ، وقد سلس الشعر له قياده نظرا لما تميز به فقيدنا الغالي من سعة اطلاع في اللغة ، وسلاسة الاسلوب في التعبير والاعتدال في المشرب ، والتحقيق في المعلومات ، وهي ميزات تجعل مما ينظمه فارس الخوري شيئا فريدا في بابه وبالغا من الجودة حدا لا بأس به ..

فقد كان فارس الخوري في مطلع هذا القرن .. اي منذ سبعين عاما .. يملأ صحف سورية ومصر ، بمنظوماته وكتاباته ..

وانا هنا .. لا اريد ان اعيد نشر (النماذج) التي أشرت اليها من شعره .. في كتابي « فارس الخوري وايام لا تنسى » الذي أصدرته عنه في بيروت عام ١٩٦٥ .. ولكنني اريد ان اقدم نماذج جديدة .. اوحت بها ذكراه .. وهي بالنسبة الي شخصيا ذكرى لا تنسى .. بالنظر لما كان لي من شرف ملازمته وصداقته الحميمة في المراحل الاخيرة من حياته ..

في الغـزل

في عام ١٩١٧ أجبر فارس الخوري على الاستقالة من عضوية البرلمان العثماني (من قبل الوزير العثماني احمد جمال باشا الذي كان يحكم سورية) وابعد الى استامبول، فلم تتمكن قرينته السيدة اسماء جبرائيل عيد من مرافقته الى هناك لاسباب صحية وكان يحبها حبا عظيما ويحن اليها كثيرا .. كما كان متألما من ذلك الابعاد الذي لا مبرر له .. وصادف ان مرت عليه بعض المواسم والاعياد فأحس بقسوة الوحدة ومرارتها .. وضاعف من لوعته واشجانه ، استلامه تحريرا مؤثرا من قرينته ، يفيض بالحسرات .. وتروي له فيه ، حلما راته في المنام .. فرد عليها شعرا .. يقول :

لله درك ما أحلى مزاياك   وما اعزك في نفسي وأسماك
لقد تعلمت منك الحب اجمعه   حتى تعلم قلبي كيف يهواك
عندي من الحب آيات مفصلة   ما كنت اعرف معنى الحب لولاك
عندي من الوجد ما لو تعلمين به   لطال ليلك واشتدت بلاياك
أقضي الليالي وحيدا لا يؤانسني   في وحشتي وانفرادي غير نجواك
صبرت صبر الغطاريف الكرام على   دهر تجنى فاشقاني واشقاك
وكنت مبتسما للنائبات وقد   خاب الرجاء وفاضت عبرة الباكي
ما كنت أشكو لغير الله ضائقتي   لعله مستجيب دعوة الشاكي
وكنت أغفر ذنب الدهر مرتضيا   لو كان مني على الضراء أدناك
فلا بأس من طول هذا البعد ما بقيت   عين المحبة ترعاني وترعاك

زعمت انك في الحلم اطلعت على   شيء علمت به مضمون مه اك
قلت اطمئني فلا بأس اذ وضعت   في بارد الماء يوم الحر رجلاك
حفظت عهدك حتى كاد يحرمني   نوم الليالي فاقضيها بذكراك
(دار السعادة) فيها كل سافرة   تفتر عن درر نيطت بأسلاك
تراود المرء بالالحاظ باعثة   آمالها بين أشباك وأشراك
يمدها كل طرف ملؤها غزل   رام على القلب فتان وفتاك
تصيد كل غوي في حبائلها   وربما بعض رهبان ونساك
اغمضت باصرتي عن كل غانية   كأنما راقبت عيناي عيناك
وكيف أنسى عيونا طالما ذرفت   دمعا لاجلي ، تفرى منه خداك
وكيف أنسى فؤادا خافقا حذرا   علي بالوجد ضمته حناياك
بل كيف أنسى عهودا بيننا سلفت   لا عشت ان كنت أنساها وأنساك
كريمة الاصل بالاعراق مترعة   بالنبل حيا الذي بالفضل ربّاك
وما عدا الصبر، نلت الحسن اجمعه   لو كنت أحرزته تمت سجاياك
تجلدي في مرارات الفراق الى   ان يجمع الله لي يوما بلقياك
مني عليك تحيات مطيبة   بالحب ، لولا النوى ، بلغتها فاك

حلاوة اللقاء بعد طول غياب

وفي حزيران ١٩٢٦ كان فارس الخوري وزيرا للمعارف في حكومة الداماد أحمد نامي حيث دخلها مع زميليه حسني البرازي وزير الداخلية (مد الله في عمره) ولطفي الحفار وزير الاشغال العامة ، كممثلين للوطنيين ، لقاء شروط تعهد لهم الفرنسيون بنفاذها ، واهمها ، انهاء الثورة التي نشبت عام ١٩٢٥ بقيادة سلطان باشا الاطرش (مد الله في حياته) سلميا .. ولكن الفرنسيين خالفوا تعهداتهم ولم يفوا بوعودهم مما ادى الى استقالة هؤلاء الوزراء الوطنيين آنئذ .. فما كان من الفرنسيين الا ان ساقوا الوزراء المستقيلين (الخوري والبرازي والحفار) مع وطنيين آخرين ، في مقدمتهم المغفور له سعد الله الجابري طيب الله ثراه ، في اليوم التالي ، الى الحسكة، اقصى شمال شرقي سورية ، وهناك حاولوا اغتيالهم بحادثة افتعلها الفرنسيون ولم يقدر لها النجاح .. فاضطرهم الامر الى نقلهم ، الى اميون الكورة في لبنان.. ثم وضعوا قيد الاقامة الجبرية في بيروت .. ثم أفرج عنهم وسمح لهم بالعودة الى دمشق في شهر شباط ١٩٢٨ .. وجرى لهم عند محطة البرامكة استقبال شعبي منقطع النظير ، ألقى فيه فارس الخوري القصيدة التالية :

سلام على الفيحاء في غض هابها   سلام على ارجائها وهضابها
سلام على ما حفها من خمائل   سلام على معمورها ، ويبابها
سلام على الاشجار تكنظ حولها   سلام على انجادها وشعابها
سلام على الاشبال ، تزأر دونها   سلام على أشياخها وشبابها
سلام على أنهارها وجنانها   سلام مشوق واقف عند بابها
سلام على المغوار فوق جواده   سلام على الحسناء تحت نقابها
سلام على الفيحاء من بعد فرقة   براني الذي لاقيته من عذابها

سلام محب ، غالبوه ببعدها   فأوشك ان ينهار دون غلابها
ولكنه في غير فرقة صحبه   صبور على مر الحياة وصابها
وقد خاطبته الحادثات بروعها   فما وجدته عاجزا عن جوابها
يذكره (الخابور) عذب مياهها   وواسعة البيداء وسع رحابها
اذا انشبت فيه الخطوب لاجلها   فلا بأس من ظفر الخطوب ونابها
فكل مصاب عن بلادي محبب   لدينا ، اذا أفضى لدفع مصابها
صبرنا لها صبر الكرام هوادة   وفي النفس من حمل المغارم ما بها

سلام عليكم ما أحب لقاءكم   لنفس محب طال عهد اغترابها
احيي بقومي عصبة عربية   تصاحب نبلا فاخرا باصطحابها
بخلق، يعير الحسن، زهر رياضها   وخلق ، يعير اللطف ماء سحابها
عبرنا اليكم في الثلوج ولم تكن   لتطفيء اشواقي وحر التهابها

بني وطني ان البلاد تريدكم   فسيروا على نهج الهدى في ركابها
تريد من الابناء كل سميذع   يرد خواطي عزمها لصوابها
من الفتية الغر الذين تبينت   عزائمهم في بؤسها واكتئابها
أحلتهم أرواد ، غور كهوفها   وعلتهم الصحراء ماء سرابها
وها قد دنا يوم الموازين عندنا   وكل يمين قد أتت بكتابها
وما كانت الافعال ذاهبة سدى   وكل يد مسؤولة عن حسابها
سلام على الاخيار فوق ظهورها   سلام على الاحرار تحت ترابها

في الترحيب والتكريم

وفي ١٧ حزيران ١٩٢٩ أقام المجمع العلمي العربي بدمشق حفلا تكريميا للشاعرين الكبيرين حافظ ابراهيم وخليل مطران .. ألقى فيها أحد اعضائه فارس الخوري قصيدة .. قال فيها يصف حافظا :

همام على الستين (حافظ) باسه   يشد على السبعين وهو قريرها
وليس يضير المرء شيب شعوره   ولكنما شيب العزوم يضيرها
همام له في النائبات مواقف   يقصر عنها كهلها وطريرها
وقفت أحييه عن المجمع الذي   له رتبة فيه ، قليل نظيرها
ومن لي بتحليق ، الى اوج فضله   وأين لهذا ، همتي وقصورها

ولا يلبث ان يوجه الى حافظ ، خطابه ، بقوله :

دمشق تحيي فيك حرا بشعره   تغنت وتاهت غيدها وطيورها
وقد طالما اشتاقت لزورة ماجد   روت شعره ، أبهاؤها وخدورها
فكم من فتى في الشام أنت سميره   وكم من فتاة انت أنت سميرها
نثرت على العرب الكرام منازعا   برغم خصوم العرب تنمو بذورها
ألست ترى عند الشبيبة نزوة   الى المجد والعلياء أنت مثيرها
ألست الذي‌ان أنشد النيل شعره   ترردده انهارنا وخريرها
تلونا على (الخابور) من معجزاته   فانعش ، والصحراء خف هجيرها
وجدناه في (ارواد) مطلعا على   دياجير هاتيك الكهوف ينيرها

ثم يخاطب حافظا .. وخليل مطران .. واحمد شوقي الذي لم يكن بصحبتهما .. فيقول :

فيا شعراء النيل ان قريضكم   خزائنه عند الشآم صدورها
اقمتم لاهل الضاد في مصر دولة   أريكتها انتم ونحن ثغورها
نقدمكم طوعا ونعرف قدرنا   وما آفة الاقوام الا غرورها

ولا ينسى ان يذكر اعلاما آخرين من مصر .. كالامام الشيخ محمد عبده .. وسعد زغلول .. وغيرهما .. فيقول :

وفي ذمة الله الامام محمد   منار الفتاوى الصائبات ونورها
تخطى الى لب القضايا فدلنا   عليه ، وقد الهت سواه قشورها
وسعد ومحمود وصبري وقاسم   وامثالهم ممن أجنت قبورها
واحياؤهم رهط التجدد والعلى   تباهي بطون الارض فيهم ظهورها

ثنائيات

وقال فارس الخوري مرة ، لبعض اصدقائه :

لي نحوكم ابدا شوق يساورني   في الوطن الداني او في الوطن القاصي
كم وقعة لي على (الخابور) أذكركم   كما ذكرتكم قدما على العاصي

وكان ذات يوم ، في دارة المغفور له السيد نجيب آغا البرازي في حماة ، الذي كان قطبا كبيرا في (الكتلة الوطنية) بينما كان ابن أخيه السيد حسني البرازي وزيرا للمعارف في حكومة الشيخ تاج الدين الحسني الاولى (١٩٣٤ ـ ١٩٣٦) وفي حالة انشقاق عن الوطنيين .. فوقف في الجماهير الحموية التي احتشدت لتحيته وقال:

(حماة) بها عز العروبة والندى   اهـا في مضامير الجهاد مفاخر
بها من احب الشعب نال كرامة   وفيها على (العاصي) تدور الدوائر

واشار بيده الى بيت السيد حسني البرازي القريب .. حينما نطق بالشطر الاخير .. ومعلوم ان نهر العاصي يمر في قلب حماة وتقوم عليه النواعير بشكل دوائر ..

في الستين

ستون ، ما أنت يا ستون ؟ انذار   ان الردى قادم والعيش ادبـار
وان تشرين عـن كانون حدثنـا   من بعد مـا غاب في نيسان أيار
قرأت عنك ، ولا أدري متى قرأت   عيناي عنك فان الذكـر اطـوار
ولو تجلى لي المحجوب ما فرحت   نفسي اذا مد لي في العمر مقدار
انى يكون الذي يأتي الزمان بـه   خيرا من الذاهب الماضي فاختار
لولا الاحبـة في الدنيا لمـا بقيت   لـي ليلة مـن نمير الحب تمتـار

ولا النسائم يجلو سحرها سحرا   بالعطر زهـر وبالالحـان اطيـار
لم تبق الا البواطي وهـي خاوية   الا من الذكر قد غامت بـه الدار
لـم تبق الا سويعات نعـد لهـا   عد البخيل اذا مـا ضاع دينـار
اذا صحونا، اذا نمنا، اذا ارتفعت   اصواتنا أو سرى بالهمس تيـار
ما أقصر العمر مهما مد فيه لنـا   كانمـا الميل بعـد المـد اشبـار
تمضي الثواني ولو قلنا سنحبسها   لطار بالقيد بـل بالسجن اعصار
انى لهـا وقفـة والسير ديدنها   في رحلـة كلهـا شـد وتيـار
تمضي سراعا فلا تدري السنون لها   الا وقـد غالهـا طـي واضمـار

. . . .

من غيهب القبر والسر المحيط به   ان كان للقبر بعـد المـوت اسرار

ماذا تريدين يـا ستون ، عاصفة   من السرور لهـا طبـل ومزمـار
والليل قـد نـاء بالاوزار فادحة   حتى كان المنـى في الليـل اوزار
لن تسمعي غير آهـات مروعـة   يشدوبها الركبان حلوا وان ساروا
انـا نسينا مـع الايـام فرحتنا   لمـا نات بحديث القلب أوطـار
ايـام كنـا اذا طاف الغرام بنـا   طافت بـه مـن ندي اللحن ابكار
ايـام كنـا اذا ضاق الفضاء بنا   لم تبق مـن فعلنا بالليل اقطـار
ايـام كان الصبا الريان في شغل   عنا بليلى ومن بالدير قـد داروا
لم يبق من كل مـا كنـا نؤملـه   في الدير بعد الصبا والحب ديار
لم يبق من كل مـا كنـا نؤملـه   الا رسـوم واطـلال واطمـار
كنـا نغالب في الخمسين حيرتنـا   واليوم لم يبق في الستين محتار
فانمـا هـي أوهـام نهيـم بهـا   وانمـا هـي أشجـان واشعـار

عـدن   **محمد عبده غانم**

وأشاد فارس الخوري بمدينة حمص مرة .. وهي مدينة الرئيس الجليل المغفور لـه السيد هاشم الاتاسي عطر الله ثراه .. فقال :

في قلب سوريـة رست بلـدة   يزينهـا ماض طريف تليـد
لها من التاريـخ اسمى الذرى   والخالدان ، الذكر ، وابن الوليد

على انني ظللت عاتبا على صديقي الكبير المغفور له فارس الخوري ، حيث لم يذكر مدينتي ومسقط راسي (دير الزور) بشيء من شعره برغم تكريمها اياه في حياته وتسميتها شارعا رئيسيا كبيرا باسمه استجابة لاقتراح قدمه عام ١٩٤٧ صديقه ورفيق نضاله الوطني المغفور له محمد نوري الفتيح عليه رحمة الله .. وانباه بذلـك .. بحضوري شخصيا .. وبحضور المغفور لهما الامير عادل ارسلان وزكي الخطيب ..

وليرحمهم الله جميعا رحمة واسعة .. بقدر مـا أدوا الى بلادهم والى اجيالها من جزيل الخدمات .

محمد الفرحاني

لماذا نتكلم العربية ؟

بقلم سليم الرافعي

★ ★ ★

الادب في رأينا قدرة تجارية ـ انسانية .

واذا بدا هذا الراي غريبا، فاننا نزيد على ذلك موضحين:

أ ـ ان الادب هو على التحقيق نتاج اللغة .

ب ـ اللغة نفسها نتاج البيئة من ارض وسماء وبحار وانهار .

معنى هذا ان اللغة حديث الارض ، حديث البيئة ، حديث الطبيعة .

ج ـ المتحدثون بهذه اللغة هم ابناء البيئة التي انطقتهم بهذه اللغة ، فهم في الحقيقة حديث اللغة . واللغة راسمال الطبيعة ، وراسمال الانسان ، وراسمال الادب ، بطبيعة الحال .

تهب الطبيعة اصواتها للانسان : حروفا وكلمات . فتصبح لغات في افواه الشعوب .

وتهب الطبيعة صورها ، وخيالها ، للانسان . فتصبح آثارا منطوقة او مكتوبة . وهذه الآثار اما ان تكون جديرة بالبقاء واما الا تكون . اذا كانت هذه الآثار غير جديرة بالبقاء ، فانها تزول ـ لعدم الاقبال عليها . فهي في حقيقة الامر سلعة معروضة في السوق ، ومعرضة لاقبال الناس واعراضهم . واذا اقبلوا عليها كانت سلعة رائجة ، تتناولها الايدي ، وترفعها الى المكان اللائق بها . فالمسألة كلها ليست اكثر من عملية تجارية خاضعة لقانون العرض والطلب .

الصينيون والهنود واليابانيون والافريقيون عامة كانوا حديث لغاتهم . نطقوا بها وكتبوها بعد ذلك . فما الذي حال بينهم وبين رواج تجارتهم هذه ؟

منذ الوف السنين كانت لهاتين القارتين : آسيا وافريقيا ، دول قوية وآداب في الاجتماع والديانة والحياة الخاصة والعامة . ولكن لغاتهم لم تجرؤ على الخروج من اوكارها ، كما خرجت جيوشهم واساطيلهم . فلا يعلم احد ان للفرس لغة انتشرت في الشرق او في « مقدونية » بعد انتصارهم على اليونان . وانما يعلم الناس ان الجيش الفارسي كان يخرج وحده للقتال ، ثم يعود الى موطنه . لا يترك للناس الا ذكريات الوقائع التي خاضها ، من هزيمة او انتصار .

ولا يعلم احد ان لغة الفراعنة كانت تخرج معهم في حروبهم المتوالية . وانما يعلمون ان جيوشهم كانت تقاتل وحدها . تتلقى الاوامر ، وتنفذها ، ثم تعود الى بلادها . فأين لغة هذه الجيوش ؟ لماذا لم تقاتل غيرها من لغات آسيا وافريقيا ؟ لماذا تركوا آثارهم على الاحجار ، ولم يتركوها على افواه الناس ؟ ما الذي حال بينهم وبين ذلك ـ ولقد كانت بأيديهم الجيوش الضخمة ، والعتاد والسلاح ، واهل العلم والفكر ...

لقد حارب البابليون والاشوريون والحثيون . واكتسحوا رقعة الشرق . وكانت جيوشهم من اقوى جيوش العالم . تحدرت كالعواصف الجبارة تبتلع الدول والشعوب ، فأين ذهبت لغات هذه الامم العظيمة ؟ كيف كانت تتحدث هذه الجيوش ؟

لا شك انها كانت تنتصر بقوة العقل والبدن معا . ولكن لغاتها لم تنتصر كما انتصرت ابدانها . فما السر في ذلك ؟

السر كله في هذه الكلمة : التجارة .

نحن اذن امام العبقرية التجارية ، حين نبحث في العبقرية اللغوية ، اللغة الخالدة هي لغة الاخذ والعطاء ، لغة التعامل . لغة العبادة . لغة الفكر . لغة الشعر . من اجل هذا كانت لغة العرب لغة الخلود ، لانها أصدق في التعامل مع الطبيعة ، ومع الانسان .

كان العرب أخلص الامم للطبيعة . احبوها ، واطاعوا قوانينها ، وانتظموا اجيالا في الولاء لها . يجوبون صحاراها وفيافيها . ويملئونها غناء وحداء . ويعشقون آفاقها واجرامها السماوية . ويرتشفون ماءها قطرة قطرة ، ويأوون الى واحاتها وجبالها ، فينظرون مشدوهين ، كأنما ينظرون الى جنات الفردوس ، ويأكلون ضبابها وجرادها ، ويلذ لهم قليل ما يأكلون . وينحدرون في بطونها من واد الى واد ، كأنهم سحرة او مردة . ويتنفسون صباها ونسيمها ، ولا يضيقون برياحها الشمالية العاتية . فماذا كانوا يفعلون ؟

لقد باعوا حياتهم . واشتروا اصوات الطبيعة من نسيم وعاصفة . وقبضوا من افواه النوق والجياد والبعران والظباء ثمنا باهظا . هو ثروتهم اللغوية .

نعم . ليس هؤلاء العرب الا كهنة الطبيعة ورهبانها. فمن العسير ان يجهل هؤلاء الناس سر الخلود .

فالشعر الذي مضغوه في جاهليتهم هو اصدق شعر عرفه الانسان . وعندما ورثناه عنهم ، ورثنا معه جبالهم واوديتهم ، وعشنا فيه صحراءهم وواحتهم ، وحبهم وبغضهم ، واجتماعهم ، وتفرقهم .

وعندما قرانا كتابهم المقدس ، ارتبطنا بحقيقتهم المستمدة من الخالق ، وطمحنا الى الفردوس ، والملائكة، والحور العين ، وانهار اللبن والعسل . وعندما آمنا بعقيدتهم ، وجدنا انفسنا الى جانب المسيح بن مريم ، وموسى ، وابراهيم الخليل ، لمسنا معهم ايدي القديسين والاولياء والابرار ، احببنا الحياة ، والموت ، والبؤس ، والنعيم .

العرب هم الناس الحقيقيون ـ اذا صح هـذا التعبير ، في مجال التفسير . الفرد منهم انسان كامل . او ، أمة انسانية . يعيش قويا ، حرا ، منتصرا ، وما اخبار الجاهلية الا اخبار امم كثيرة كانت تعيش في شعب واحد . هناك اهل القتال ، هم في الحقيقة هواة الخطر والموت . لا يبالون شيئـا ولا يكترثـون بشيء . يلقـون بأنفسهم في حومة الوغى . يأنفون مـن الاسر والـذل ، ويؤثرون العدم . فهم يمثلون لنا الانسانية التـي تطلب البقاء عن طريق الفناء . يحمون الحمى . ويغيرون على الاعداء . ويلعبون كالمردة على ظهـور الخيل ، ويقودون الكتيبة . وينتحرون انتحارا . .

هناك اهل الشعر : يناجـون الحب . ويؤاخون الجن ، ويقدسون الجمال ، في المـرأة ، وفي الكـرم ، والشجاعة . ويمدحون ويهجون . لا يعنيهم الا ان يعبروا عما تمتلىء به خواطرهم . يمثلون لنـا انسانية الجمال والحكمة والمثل الاعلى .

هناك اهل العظمة والقيادة : ملوك وسادة وحكـام على عشائرهم وقبائلهم ، يحاربون اعداءهم ، ويوالونهم ، وتراهم ، تارة ، يحقنـون الدمـاء بالسياسة والدهاء . ينتصرون ، وينهزمون . يجتمعون ويتفرقون . يمثلـون لنا انسانية الدولة ، والحكم ، والملك ، والجبروت .

هناك اهل التجارة والتجوال في الارض ، يخترقون حدود بلادهم ، ويطلبون التعامل مع الغريب . ويلتذون ذلك . ويؤثرونه على كل شيء ، حتى اصبحت قوافلهم مضرب المثل في رحلة الشتاء والصيف . لا يقعدون عن الربح والكسب الحلال . سماسرة ، وتجـار ، واصحاب رأسمال ، يعنيهم الوافد الجديد مـن بضائـع الشرق والغرب . يحفظون حقيقـة التجارة بالحرية والطـرق الآمنة ـ هم ، مع اخوانهم الآخرين ، رواد الادب العربي. فتحوا آذان البشرية لاستقبال لغتهم المطاوعـة لكـل هاجس . وما اللغة العربية الا حصيلة هـذه المجموعة المتناقضة : تجانست ، وتكونت من احتياجات الناس . فهي لو اردنا التحديد : لغة الناس .

عثرنا نحن الشعوب المستعربة علـى افواه نبضت منها قلوبنا وعقولنا وآمالنا .

السؤال المشكلة : لماذا صرنا عربا ؟

لقد اشترينا العربية فأصبحت لغتنا . لماذا لـم نشتر الفارسية او اليونانية ؟

حكمتنا العبقرية الرومانية الفـذة ، فلماذا لـم نلتحق بها ؟

نسير بين هياكل بعلبك ، فنتساءل : اين لغة تلك الاعمدة ؟

تروعنا عظمة ابي الهول ، والاهرام ، ويروعنا فـن تحنيط الموتى ، فنتساءل : بأي لغة يتكلم الاحياء ؟

احتوانا الهلال التركي العثماني، دهورا ، ومحضناه الولاء دهورا ، فلماذا لم نبتلع لغته وفكره وثقافته ؟

ما زلنا نقف حتى الآن امام « قفا نبك مـن ذكرى حبيب ومنزل » .

ما زلنا نتفرس في بعـر الآرام ، ودارة جلجـل ، ونتسارع الى حفظ القرآن الكريم ، والاستشهاد بآياته، وتفسيرها ، والاستمداد منهـا ، ودراسة بلاغتهـا ، وفواصلها ، ومواقفها ، ونهاياتها .

ما زلنا نؤمن بشبح « العروبة » الواحدة ، المتصلة بتاريخ موسى وعيسى ومحمد .

الجواب على كل ذلك : ان الامة هي التي تحـدد نفسها من خلال تجاربها الخفية . فهي تمـر بالزمن ، والحرية ، والعبودية ، والنصر ، والهزيمة ، فتختار من كل اولئك سلعة تعبر بها عن حاجتها ، وترمز بهـا الـى ارتباطاتها ، وطموحها ، ومثلها العليا .

نحن نتكلم العربية لاننا حصلنا عليها . ومن صدق الملاحظة في الاجابة هنا ان ننظر الى تقلب الشعوب التـي عاشت في مهود الشرق الادنـى ـ بين احضان الاديـان والفتوح العسكرية الغازية ، والتفاعل الجارف ، بحيث لا يثبت على ظهر هذه المنطقة الا الصحيح الخالص مـن شوائب الزيف ، القادر على حماية الطبيعة من الطبيعة ، والانسانية من الانسانية .

ونستطيع ان نحاور المستقبل ، ايضا ، فنقـول : ان العبرية لن تكون اقوى مـن التركية ، او الانكليزية ، او الفرنسية ، او الاسبانية . نستطيع ان نضيف الى كل ذلك ، بكل بساطة ،ان منطقتنا التـي تترنح الآن بـين الشرق والغرب ، لن تبيع نفسها ، ابدا . لانها ـ حتـى الآن ـ اشترت العالم كلـه في سوق العبقرية المزدوجة : الانسانية الالهية .

عبقريتنا جعلت الارض مقدسة ، وجعلت السمـاء هدفا . ولغتنا العربية التي ما نزال نتكلمها ـ هي لغـة العالم المنظور ، ولغة العالم الميتافزيقي . اي انها تتطور، وتتخيل التطور . اي شيء اقوى من ذلك ؟

طرابلس ـ لبنان | سليم الرافعي

عام بعد عام

توفيق اليازجي

تنصرم ايها العام ، فكيف أودعك !
وتقبل ، فكيف أستقبلك !
ولا فاصل امامي سوى لمحة وهمية
من تقسيم الناس للزمان !
أتطلع الى الوراء ، فتزدحم الصور وتتكدس ،
وأرنو الى الامام ، فتتسابق أشكال غامضة ،
متدافعة متشابكة ، لا تبين حتى تختفي
ولا تختفي حتى يحيكها الخيال !
ماذا في هذا البعد المترامي !
ماذا ... في هذا الخيال
المتكالب على الاشكال الوهمية المتعامية !
اين ستخطو خطواتي ، واين اضع اقدامي
على الطريق الممتدة امامي !
كيف تسبر على اضواء نظراتي المتعبة
واحداقي المتماوتة للمحة من مقبل مجهول !
انتفض في اعماقي ، ايها العام المنصرم
انتفاضة القادم المجهول، وانتفاضة الغامض الذي يحيا!
انتفض من كل ما مر ، ومن كل ما سياتي ويقبل !
انتفض ...
فانا احيا الايام التي تمضي ولا تنقضي ،
وأعيش الايام التي تحيا ولا تموت !
اغرب في نفسي ، ثم اطل من احداقي ،
وخذ مني هدية « بابا نويل » ،
عكازة تتوكأ عليها في عبور المجهول الممتد ،
وفي اجتياز المسافة المتباعدة !
اغرب في نفسي ، واطل في عيوني
فامامي شهوة المجهول ،
وفي نفسي نهـم الغموض !
لا تمض ولا تقبل ، بل ابق كما انت
مسيرا متصلا من الزمان ،
ومشيئة متتابعة من الحياة !
انمضي معا ومعا سنقبل
في لمحة خاطفة من اوهام المقاييس
وعلى الطريق نسير ، تحيط بنا الحياة
وتشدو أنشودة غريبـة
تتدحرج متقلقلة على حنجرة الزمان !
لا ... بل لك ما تريد ،
فمت كما تشتهي ، ومت كما تشاء
وارجـع الـي !
ارجع بعد لمحة مائتة في اذهان الناس
ارجع ، وفي قلبك شباب الحياة
وفي عقلك خبرة الايـام
واجمع على قدميك الحافيتين
غبار المسير وآثار الطريق !

حلب ـ دار الرائد

●

●

تلاحقت انفاسها لدن ما اعترض سبيلها الجنود الاسرائيليون ، وراحوا يدفعونها بفوهات مدافعهم الرشاشة الى الطابور الطويل المحتجز تحت وهج الشمس للتفتيش ، وتمتمت وهي تأخذ مكانها في الطابور :

— لقد حاصروني .. ولكني لن ادعهم يفتشونني .. والا انكشف امري .. وفي ذلك ما سيحيل بيني وبين تنفيذ مهمتي .. لتتحول غزة كلها الى نقط للتفتيش والمراقبة ، فلن يحيل ذلك بيننا وبين الكفاح من اجل التحرير ..

قالت ذلك بسرعة وحزم .. وعيناها الزائغتان تبحثان لها عن مخرج ... واشتملتها رعدة قوية عندما التصق بها عملاق . واسر في اذنيها بصوت حذر :

— نضج الزيتون ..!

وتحسس مدفعه الذي يخفيه تحت طيات ملابسه ، بينما تنفست الفتاة بعمق وهي ترنو الى حقيبة يدها المعلقة في كتفها .. على حين اخذ من في الطابور يزحفون رافعي الايدي ، والحقد الدفين يغلي ويفور في نفوسهم ، وشرر الغضب يتطاير من عيونهم ..!

وظلت الفتاة ترقب الفرصة السانحة للافلات من ذلك الطوق الخطر ، لا خوفا من الموت ولا رهبة منه ، بل حتمية الواجب والكفاح واداء فريضته ، دربا لا بد من السير فيه ، ومن حاد عنه فهو ضال ، مرتد .. ولذا تحس في ذاتها .. وقرارة نفسها الفطرية الا مناص من مواصلة الكفاح ، وان لم يكن فلتضرب ضربتها ، وليكن في ذلك استشهادها ، غير آسفة لعدم بلوغها نهاية الطريق طالما هي بداته ..

واستطردت قائلة :

— هناك من يسلكون الدرب .. ولسوف يبلغون نهايته رافعين الوية النصر الخفاقة عاليا حيثلا يبالون. وهم يجودون بأرواحهم ..

ومع ان الصمت كان مخيما على من في الطابور الا ان الفزع قد استبد بأولئك الذين يسددون فوهات مدافعهم الى صدور من وقفوا صامتين ، ونبضات قلوبهم تطرق الاسماع في ضجيج مخيف كجحافل جيش هائل يزحف في اصرار عنيد .. والعرق يتصبب غزيرا .. والشمس تلفح الاجساد بحرارتها .. والرياح الساخنة تسفى الرمال وتثير الغبار ، بينما يصيح الضابط الاسرائيلي آمرا — من حين لآخر — بتوخي الدقة في التفتيش ، حيث انه لطالما يوجد من يحذقون اخفاء السلاح لاستعماله في



بقلم محمد حسين عبد المجيد

اللحظة المواتية ..!

واشار الضابط الى جندي شرس ، وهو يذب الذباب الذي يزعجه بطنينه ولدغاته ، ثم قال :

— لتكن متيقظا يا ابن ياعيل ..!

فنظر الجندي اليه شزرا ، وقد عنى تجريحه بقوله :

— كل اليقظة يا عمي ..!

وانبعثت من الطابور صرخة الم وعجز لكهل تهاوى على الحصى الساخن ، فانقض عليه الجندي وراح يضربه بوحشية الى ان انبثق الدم من فمه ..!

قصة

— انهض ايها العجوز ، والزم مكانك في الطابور ..!

وضربه ضربة الزمته الصمت ، ثم شهق العجوز شهقة خفق جسده بعدها وسكن سكونا ابديا ..!

ولجت عيون من بالطابور في بحار محمومة من الدمع السخين بينما راحت الفتاة تدير عينيها وترسل الطرف حيث الدور الموصدة الابواب والنوافذ ، فبدت جهمة ، صامتة صمت القبور ، فاستبدت الحيرة بها واخذت تهتف قائلة والدموع تسح من عينيها :

— يا ديار قتلها الحنين الى النور ، يا ديار عبثت بها يد الفجور .. الصمت يصرخ بين جنبيك .. والخوف يطل من عينيك ..!!

— كفي عن النواح ايتها الحرباء .. وارفعي يديك الى أعلى .. ولا تلوحي بها ..!

فمالت براسها على صدرها وهي تحس الفجيعة والمها الحاد ، ثم اضافت :

— لا باب مفتوح ولا نافذة ... آه .. تاقت الدور الى ضحكة الصغار ..

وارتفع صوتها فجاة ..!

— الى الامان ، الى السلام .. الامان جريح ، والسلام ذبيح .

— طابور من المعتوهين .. اخرسوا كل من يتفوه بكلمة ايها الجنود .. انه لجو خانق ، بل قاتل ..

وطغى طنين الذباب حتى خاله الصهاينة .. وكأن من في الطابور قد اطلقوه عليهم ليلدغهم ، فراحوا يذبونه بلطمات متشنجة تنم عن توتر اعصابهم والقلق المرهق لانفسهم ..

واصاخت الفتاة السمع لمن خلفها حالما اخذ يحدثها بحذر :

— الا ترين ان من الاصوب ان اتقدمك ..؟

— لا .. يا رفيقي .. قد يكون وجودي امامك اجدى ، كما اني على

استعداد للتفتيش ....

والقى الشاب الواقف خلفها نظرة وراءه حيث الافواج التي لا تنقطع ، والجنود الاسرائيليون يتصيدونهم ، ثم يقودونهم للتفتيش، بينما خاطبت الفتاة نفسها قائلة :

ـ لقد حان الوقت ، والمنشورات تلك التي الفها على جسدي .. لا ادري ربما لا تصل أصحابها ..

ـ تقدمي أيتها الفتاة ، ولا تقفي كالبلهاء .. مالك تحملقين في هكذا ..

ـ اتخيفك نظراتي ، ومن حولك من يحمونك بالسلاح ..؟

فلكزها جندي ضخم بفوهة مدفعه وصاح غير مبال بما احدثه لها من ألم في خاصرتها :

ـ هيا .. ابرزي هويتك للسيد الضابط أيتها ... !

واسكتته لدغة ذبابة طنانة ، فلطمها بقوة آلمته ...!

ـ اين هويتك يا آنسة ..؟

ـ ليس معي هوية .. ومع ذلك فأنا فلسطينية ، ابي فلسطيني وامي فلسطينية .. ابي شهيد مذبحة يافا البشعة .. وامي ..!

وباغتها الضابط بصرخة أشد مما كان ينتظرها ، فاحدث رد فعلها عكس ما كان يتوقع ، فبدا منزعجا، وقد عراه اضطراب تلاحقت له انفاسه .. وقد تهدج صوته لدن ما انبرى قائلا :

ماذا تقصدين .. ؟ أتهددينني .؟ ان لم تكن معك هوية اسرائيلية فانت في نظر القانون مخربة .

وتجمع الجنود وطوقوها بسلاحهم ... وامسكوا بذراعيها وراحوا يتجاذبونها كذئاب شرسة جعلت تنهش فريستها ، الى ان نجحوا في انتزاع الحقيبة منها ، فتركوها تئن بعد ان احدثوا بجسدها رضوضا وكدمات وذراعها الايسر قد بدا مملوخا .. !

وصاح الضابط بعد ان فتح الحقيبة :

ـ آه ... قنبلة !

ثم التفت الى الفدائية وقد اكتسى وجهه بغيظ مكظوم ، بينما اتسم حديثه بروح الود الزائف والهدوء المصطنع الخبيث ، محاولا استدراجها بقوله :

ـ حسنا .. كل ذلك وكأنك لم تحملي شيئا مخالفا للاوامر ، هذا اذا قلت لي من اين حصلت على هذه القنبلة .؟

ـ لم احصل عليها ... بل صنعتها ..

فارسل ضحكة عالية سرعان ما بترها بترا ، اذ احس من صداها كما لو انه يهوى من حالق الى اعماق هوة سحيقة .. امتقع لونه ... وتصبب العرق منه غزيرا ، ثم انبرى قائلا :

ـ كيف صنعتها يا جميلتي ؟

ـ من الحقد الدفين المتفجر في القلوب صنعتها ، من غضب المطرودين من الديار ، من دم الصغار والكبار ، الابرار ، الاحرار ..

ـ هدئي من روعك .. ولكن جاديني بعض الشيء .. واعدك بشرفي باطلاق سراحك فوراعترافك ... وليكن فيمعلومك ان هذا سيكون رحمة ، بل نجاة لحياتك اذا انا لم ارسلك للمحاكمة ، حيث تذوقين ابشع الوان التعذيب على ايدي عتاة لهم اساليبهم في انتزاع الاعترافات انتزاعا . والان الى اي منظمة تنتمين .. ؟ وما هي اسماؤهم ؟ ولا شك انك تحملين صورا لهم ، او على الاقل يمكنك وصفهم لنا ... والى من كنت تنوين تسليم هذه ..؟ لا ريب انك تحملين اشياء سرية ... فكري .. قليلا من العقل تنجين بحياتك ، وتعيشين حياة افضل .

ـ اني تابعة لمن جلبتم لهم البؤس، واغرقتموهم في بحار من التعاسة ، والتشريد ، فاختنقوا .. خنقهم الم الحزن المقيت ..

ـ لا يأخذنك الحماس هكذا ..

اخرسي ، ولا ترفعي صوتك .. انه لمن الصعب التفاهم معك ..

والتفت الى الجندي الضخم ، الذي كان قد ناداه بابن ياعيل ، ثم قال :

ـ يبدو انه لافائدة .. !

ـ لقد اصبت ..

ـ لنذهب بها الى حيث تنتزع منها الاجابة ..

ـ ليكن يا ابن من خانت العهد ، وسلمت من حمته ..

ودوى صوت طلقات رصاص اعقبه صرخات استغاثة تنبعث من داخل المبنى الذي اتخذه الصهاينة كنقطة ادارية ، فاندفع احد الجنود وهو يصيح فزعا وقد فتح نيران مدفعه واخذ يعدو بجنون .

ـ لقد لمحت طيفا يمرق الى الداخل منذ قليل ، ظننته في باديء الامر انه موجة مندفعة من الهواء المغبر ، او شيئا مما يلوح وقت القيلولة ...

واندفعت شرذمةلاقتفاء اثر الطيف الذي اقتحم مكاتب الادارة .

وفي اللحظة التي تصدعت فيها جدران المبنى ، وانهار على من فيه اثر انفجار العبوات الناسفة التي احكم وضعها الفدائي العملاق صاحت الفدائية باعلى صوتها وقد لمحت الطيف يبتعد متخلصا من سحب الدخان والغبار :

ـ انا بلا هوية ، ومع ذلك فأنا فدائية .. فدائية ..

وبسرعة مذهلة اخرجت من صدرها ما كانت تخفيه من قنابل وفجرتها فيمن وقفوا مشدوهين من حولها فتطايرت الاشلاء وارتفع اللهيب ..

ومن خلال وهج القنابل ،ودخانها كانت الفدائية تهتف ، وهي تجود بآخر انفاسها :

ـ انا فدائية .. انا فدائية ..!

القاهرة محمد حسين عبد المجيد



محمود الحسنية

التوشيح الاندلسي

بقلم محمود الحسنية

* * *

مع حياة البذخ ، والترف ، وازدهار الشعر والادب ، وانتشار نوادي اللهو ، والسمر ، والغناء ، في الاندلس ، ظهرت الموشحات ، وشاع فن التوشيح ، واخذ به الجمهور ، لسلاسته ، وتنميق كلامه ، وتحرره من قيود الشعر ، وقوالب الاوزان ، وعبودية القافية ، ونسجت العامة من اهل الامصار على منواله ، ونظموا على طريقتهم وبلغتهم الحضرية الوانا ، واشكالا ، اسماطا ، واغصانا ، يكثرون منها ، ومن اعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها ، بيتا واحدا ، ويلتزمون عدد قوافي تلك الاغصان ، واوزانها متتاليا ، فيما بعد ، الى آخر القطعة ، واكثر ما ينتهي عندهم الى سبعة ابيات ، ويشتمل كل بيت على اغصان ، عددها بحسب الاغراض ، والمذاهب ، ينسبون فيها ويمدحون .

قال ابن خلدون في مقدمته :

اول من اوجد هذا التوشيح الغنائي ، بجزيرة الاندلس ، مقدم بن معافى القبري ، من شعراء الامير ، عبد الله بن محمد ، المرواني ، واخذه عنه ، ابن عبد ربه ، صاحب العقد الفريد ، وبعدهما عبادة القزاز ، شاعر المعتصم ، بن صمادح ، صاحب المرية ، وقال ابو بكر بن زهر ، كل الوشاحين ، عيال ، على عبادة القزاز ، من قوله:

بدر ثم ، شمس ضحى ، غصن نقا ، مسك شم
ما اتم ، ما اوضحا ، ما اورقا ، ما انم
لا جرم ، من لمحا ، قد عشقا ، قد حرم

وقيل انه لم يسبق عبادة ، وشاح ، من معاصريه ، الذين كانوا في زمن ملوك الطوائف ، وجاء بعده ، ابن ارفع رأسه ، شاعر المامون ، بن ذي النون ، صاحب طليطلة . وقال في موشحة ذائعة :

العود قد ترنم ... بابدع تلحين
وسقت المذانب ... رياض البساتين

الى ان يقول في آخرها :

تخطر ولم تسلم ... عساك المامون
مروع الكتائب ... يحيى بن ذي النون

وذكر مشايخ اهل هذا الفن ، ان جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية وقد صنع كل منهم موشحة ، وتانق فيها ، فتقدم الاعمى التطيلي للانشاد ، وافتتح موشحته المشهورة :

ضاحك عن جمان ... سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان ... وحواه صدري
آه مما اجد ... شفني ما اجد
قام بي وقعد ... باطش متئد
كلما قلت قد ... قال لي اين قد

مزق ابن بقي موشحته ، وتبعه الباقون ، وذكر الاعلم البطليوسي ، انه سمع ابن زهر يقول ، ما حسدت قط وشاحا ، على قول ، الا ابن بقي حين قال :

اما ترى احمد ... في مجده العالي لا يلحق
اطلعه المغرب ... فارنا مثله يا مشرق

وكان من الوشاحين المطبوعين ، ابو بكر الابيض ، والحكيم ، ابو بكر ، بن باجه ، صاحب التلاحين المعروفة ، وقال ابن خلدون في مقدمته ، حضر ابن باجه ، مجلس تيفلويت صاحب سرقسطة ، فالقى عليه ، من موشحته ، جرر الثوب ايما جر .

وختمها بقوله :

عقد الله راية النصر ... لامير العلا ابي بكر

فطرب ابو بكر ، بن تيفلويت وشق ثيابه ، وقال : ما احسن ما بدأت ، وما ختمت وحلف الايمان المغلظة ، بان لا يمشي ابن باجه ، الى داره ، الا على الذهب ، فخاف الحكيم سوء العاقبة ، فاحتال بان جعل ذهبا في نعله ومشى عليه . وذكر ابن بسام في ذخيرته ، بان محاولات فن التوشيح ، بدأت في الاندلس ، مع نهاية القرن الثالث الهجري ، على يد محمد ، بن محمود ، القبري ، ومقدم ، بن معافى ، القبري ، من شعراء الامير عبد الله ، بن محمد ، المرواني ، وعنهما اخذ ابو عمر احمد ، بن عبد ربه ، صاحب العقد الفريد ، واشتهر بعدهم، ابو بكر ، بن عبادة ، بن ماء السماء ، فكان في ذلك العصر ، شيخ الصناعة ، وامام الجماعة ، سلك الى الشعر مسلكا سهلا ، قوم هذا الفن ، ونظم عقده ، حتى اصبح وكانه لا يسمع الا منه ولا يؤخذ الا عنه . وهكذا اخذ الموشح يزدهر ويسمو ، في سماء الاندلس ، ابتداء من القرن الرابع الهجري ، نظم فيه شعراء وشاحون ، من طائري الصيت ، كابي بكر ، عبادة ، بن ماء السماء ، وعبادة القزاز وابي بكر، محمد بن عيسى ، اللخمي ، المعروف بابي اللبانة ، وابي جعفر احمد بن هريرة ، المعروف بالاعمى التطيلي المتوفي ٥٢٠ هـ . وابي بكر ، يحيى بن عبد الرحمن ، بن بقي القرطبي المتوفي ٥٤٠ هـ . وابي بكر محمد ، بن باجه الاندلسي السرقسطي ، المتوفي ٥٣٣ هـ . وابي بكر محمد ، بن زهر الاشبيلي ، المتوفي ٥٩٥ هـ . وابراهيم بن سهل ، الاسرائيلي ، شاعر اشبيلية ، المتوفي ٦٤٩ هـ . وابي عبد الله لسان الدين ، بن الخطيب ، شاعر الاندلس ، والمغرب ، وفريد العصر ، المتوفي ٧٧٦ هـ . وتلميذه ابي عبد الله بن زمرك ، الغرناطي ، المتوفي ٧٩٨ هـ .

من موشحات ابن زهر الاشبيلي :

يا للموله ، من سكره لا يفيق ، يا له حيران
من غير خمر ، يا للكئيب المشوق ، يندب الاوطان
هل تستعاد ايامنا بالخليج ، ولياليننا
اذ يستفاد من النسيم لاريج مسك دارينا (1)

١ ـ بلدة من البحرين كانت تستورد المسك من الهند فعرف باسمها

واذ يكاد حسن المكان البهيج ان يحيينا

من موشحات ابراهيم بن سهل الاشبيلي :

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى   قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما   لعبت ريح الصبا بالقبس

ومن قوله :

ليل الهوى يقظان   والحب ترب السهر
والصبر لي خوان   والنوم من عيني برى

وبلغت موشحات لسان الدين بن الخطيب ، شهرة واسعة ، قال ابن خلدون في مقدمته ، انتهت لابن الخطيب رئاسة هذا الفن ، ومن اجمل ما قال : موشحته التي قالها في الفزل ، وذكر الطبيعة ومدح بها سلطانه الفني بالله ، محمد بن ابي الحجاج ، ملك بني الاحمر ، وعارض موشحة ابراهيم بن سهل ، تمامها وكمالها ٥٢ قفلا :

جادك الغيث اذا الغيث همى   يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما   في الكرى او خلسة المختلس
اذ يقود الدهر اشتات المنى   ينقل الخطو على ما ترسم
زمرا بين فرادى وثنا   مثلما يدعو الحجيج الموسم
والحيا قد جلل الروض سنا   فثفور الزهر فيه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما   كيف يروى مالك عن انس
فكساه الحسن ثوبا معلما   يزدهي منه بابهى ملبس

من موشحات ابي عبد الله ، بن زمرك ، كاتب سر الفني بالله ، ملك بني الاحمر ، معارضا « ليل الهوى يقظان » لابراهيم بن سهل الاشبيلي .

نواسم البستان   تنثر سلك الزهر
والطل في الاغصان   ينظمه بالجوهر
وراحة الاصباح   اضاء منها المشرق
تنشرها الارواح   فلا تزال تخفق
والزهر زهر فاح   له عيون ترمق

وله ايضا :

بالله يا قامة القضيب   ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن في القلوب   وايد اللحظ بالحور

لم ينظم الاندلسيون كل موشحاتهم للفزل ، ووصف الحبيب والمحب ، وانما كان لهم فيها للتصوف ، فقد قال ابو بكر محمد بن علي ، الطائي ، الحاتمي ، الاندلسي المعروف بابن عربي ٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ . موشحاته وهو يطوف ربوع الشرق في التصوف .

وعجز كثير من الشعراء المتاخرين ، عن تقليد توشيح الاولين ، ويحدث مؤرخو تراجم الوشاحين ، والشعراء ، بان ابن سناء الملك ، الشاعر المصري ٥٥٠ ـ ٦٠٨ هـ ، هو اول من ادخل هذا الفن الشعري الى المشرق في كتابه « دار الطراز » ووضع له القواعد ، والخصائص ، والطرق والاوزان ، ولكنه يعترف بان موشحات الاندلسيين ، سبقت في الجودة موشحات المشرقيين .

عرف الموشح في كتابه دار الطراز ، بانه : كلام منظوم ، على وزن مخصوص ، يتالف غالبا من ستة اقفال وخمسة ابيات ، ويقال له التام ، وقليلا من خمسة اقفال ، وخمسة ابيات ويقال له الاقرع ، والاقرع ما ابتدىء فيه بالابيات ، ويتركب القفل من اجزاء ، واخر قفل من الموشح يسمى خرجة ، يذكر فيه غالبا الموصوف ، وقد سمي هذا الفن بالموشح ، لما فيه من ترصيع ، وتزيين ، وتناظر ، وصنعة ، لشبهه ، بوشاح المراة ، المرصع باللؤلؤ . وفي قول ابن بقي :

عبث الشوق بقلبي فاشتكى   الم الوجد فلبث ادمعي

انه قفل من جزئين :

ايها الناس فؤادي شغف
وهو في بغي الهوى لا ينصف
كم اداريه ودمعي يكف

انه بيت بسيط من ثلاثة اجزاء .

ومن قول ابن سناء الملك :

من لي به يرنو بمقلتي ساحر ، الى العباد
ينأى به الحسن فينثني ، نافر ، صعب القياد
وتارة يدنو كما احتسى الطائر ، ماء الثماد

بيت مركب من ثلاث فقر ، وثلاثة اجزاء .

وتبدو اللازمة في قول ابن زمرك :

بالله يا قامة القضيب   ومخجل الشمس والقمر
من ملك الحسن في القلوب   وايد اللحظ بالحور

وتقسم الموشحات من حيث اوزان اشعار العرب في الفالب الى قسمين : موزون ، يشبه المخمسات ، يعده الوشاحون مرذولا لا ينظمه الا الضعفاء منهم . وغير موزون ، غرضه الفناء ، وهو الشائع في الموشحات . كما تقسم من حيث التلحين ، الى قسم يستقل التلحين به ، وقسم يحتاج تلحينه ، الى ان يتوكا ، على لفظة ، ليستقيم النغم ، لان الجمال الذي يضفي على الموشحات بهاء يكمن في حرية الوزن ، وليس في قيده .

وهذا ما يدل ، بان الاندلسيين انما اخترعوا الموشحات ، من اجل الفناء الذي يناسب الفزل ، ووصف حياة الدعة ، ومجالس الانس ، وكل شيء جميل ، متعمدين اثارة العاطفة ، ودغدغة الخيال الفكري ، في اجواء حالمة ، يخفق فيها الشعر بالموسيقى .

اذ لا يستطيع المرء ان يقرأ الموشحات ، دون ان يميل الى التغني بها ، مأخوذا بما تمليه عذوبة الشعر وحاسة الموسيقى ، لان الفناء لا يتطلب عمقا في المعاني ، وصورا تتعب الخيال ، بل رقة في القالب ، وسهولة في التعبير . ومن هذه المميزات احدثت شخصية الاندلس من الشعر الفصيح الموشحات ، ومن العامي ، الازجال ، وانتشرت معها موجة الفناء ، وبلغت القمة مع زرياب ، حيث كان يحفظ اكثر من الف انشودة بالحانها يلقيها مع عود زاده وترا خامسا ، وبدل دفة مضربه بمنقار نسر .

ومع حياة الدعة والازدهار ، ارتقى فن التوشيح ، وكثر المغنون والمغنيات وظهرت الجوقات الفنائية ، وفتن الشعب بهذا اللون الجديد ، فادخله في اعياده ، ومواسمه وحياته اليومية .

وطبيعي بان تحظى الموشحات هذه ، في دنيا العرب ، بقدر كبير ، من اهتمام الباحثين ، والادباء ، فقد نظم على منوالها ، امير الشعراء احمد شوقي ١٨٦٨ ـ ١٩٣٢ في صقر قريش ، من رائعة تمامها ١٣٢ قفلا :

من لنضو يتنزى الما   برح الشوق به في الفلس
حن للبان وناجى العلما   اين شرق الارض من اندلس

وواكب لبنان تجديد وبعث الموشحات الاندلسية ، فاحيت الاذاعة اللبنانية ، التي كانت تعرف منذ نشاتها في عام ١٩٣٨ باسم « راديو الشرق » (٢) تلحين هذا التراث الجميل ، على يد الاستاذ سليم الحلو . من الشعراء اللبنانيين الذين نظموا في هذا اللون : مصباح رمضان ، الذي اصدر موشحاته المصباحية ، في كتيب عام ١٨٧٢ .

منها :

كلما زف الحميا وجلا   زاده الحسن بهاء وسنا
أغيد اورث قلبي وجلا   وهو لم يترك لعيني وسنا
عقد الروح باسباب الهوى   وعهودي في هواه حلها
والكرى من ذروة العين هوى   من نواه بعد ما قد حلها
وشؤوني من تباريح الجوى   حكم الوجد عليها ولها
هكذا حبك يا ريم الفلا   لم انل فيه سرورا وهنا

---

٢ ـ اسسها الاستاذ البير اديب وكان مديرها العام من عام ١٩٣٨ حتى ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ حينما اعتقله الفرنسيون .

غنوة بعد الصمت

« الـى التي قالت : الا تسمعنـا غنوة بعـد هـذا الصمت الطويل »

كـم تمنيت ان أغنيـك غنـوه ... ولكـم قلـت لليراع : تفـوه
ولكـم كنت مـن سنين أمنـي ... القلب ان تسكب الرياحين شجوه
ان تـرش الـدروب بالطـل ان ... تفرش بالورد حيث تسرين خطوه
والسنون العجاف تاكـل عمري ... وبقايـا النـدى يجف بقسـوه
ويلف الظـلام كوخي .. ويلقـي ... الصمت بي والسكون في ألف هوه
فـاذا ليلـي البهيم .. صراع ... انـا والشمعـة التـي تتأوه

وتطلين .. مـن ثنايـا غيـوم ... الامس نجما .. يجر زهوا عتوه
يسكب النور في جفونـي فتصحو ... وتلم الشعاع مـن ألف كـوه
فأرى الحب والربيع .. ودنيـا ... من رؤى تستفيق مـن بعد غفوه
موكبا ملهم الخطى تسبح الانجم ... في أفقـه .. فيـزداد صبـوه
انـت أقبلـت فيـه فانسكب ... الوحي.. وغنت من التلهف ذروه
فتمنيت لـو أصـوغ حنينـي ... أغنيات .. وحسب قلبي ثـروه

لا تقولـي الزمـان كـان غبيـا ... لا تظنـي لقاءنـا كـان هفـوه
حبنا الحب .. فارتماء الفراشات ... على الزهر ـ مطلقا ـ ليس نزوه
وارتعاشات صدرك الطفـل .. ... والشعر..تصب الحريق في كل عروه
كل ذا .. ثم تسالين .. ربيعي ... وصباحي ..مذ كان يحمل زهوه

انت فجـرت في عيونـي فجـرا ... وضحى حالـم الضباب ممـوه
وتمشيت .. فالدروب أمـان ... والمساء الجميـل ينصب بهـوه
يـا صباحي الجميل .. يا ضحكة الحسون.. يا حبة الفؤاد.. وصنوه
انت حرفـي الانيـق ينبض ... بالوحي..وانشودةالهوى..انتحلوه

دمشق

محمود محمد كلزي

قلت مذ رمت وصالا الف لا ... فكفـى حملت جسمي وهنـا
رشيد نخلة ـ ١٨٧٣ ـ ١٩٣٩

موشحته في نبع الصفا ، تمامها ستة ابيات ، وكل بيت اربعـة اجـزاء :

يـا صفا النفس علـى نبع الصفا
حسب حظـي منـك ذكـرى وكفـا
لا رعى اللـه علـى الارض الوفـا
ان تكـن تنسـى عهـودا بيننـا

انـت احـلام الليالـي الماضيـات
ذهبـي الذكـر فضي الصفـات
عنبـري التـرب دهـري النبـات
كـوثـري المـاء دري السنـا

رشيد ايوب ١٨٧٢ ـ ١٩٤١ ، من موشحه :

هل يعود ، عيش قطعناه ، بتلـك الصرود
او نجود ، هذي الليالي ، بانتظام العقود
كي نرود ، في سفح صنين مقـر الجـدود

وديع عقل ١٨٨٢ ـ ١٩٣٣ ، من موشحه :

حنت مهـا غسان ... وجـدا الـى لبنان
نفديـه بالغزلان ... في صيفـه الفتـان
في روضـه الوضاح ... والبلبـل الصـداح
نادى علـى الارواح ... فـدى لبنـان

واذا ما ذكر التوشيح اليوم ، بعد عشرة قرون من نشاته تقريبا ، فانه يوحي لنا بذلك التراث الضخم ، الذي طمست اكثر معالمه ، حيث يذكر بروعة الفن ، والازدهار ، باساطين العلم ، والطب ، بالجزيـرة الخضراء ، التي حملت مشعل حضارة العالم ، طوال ثمانيـة قرون ، باولئك الملوك المتنافرين ، الذين كانت على يدهم نكبة الاندلس .

محمود الحسنية

كامل الدجاني - انطوان كنعان
محمود الافغاني - نبيل شعث

بقلم الفقيد البدوي الملثم

* * *

١ ـ كامل توفيق الدجاني

ولد « كامل » في يافا بفلسطين سنة ١٨٩٩ وتلقى دروسه الابتدائية في مدارس يافا والاعدادية في مدرسة « الصلاحية » بالقدس وفي سنة ١٩٢٠ قصد مصر طلبا للعلم والتحق بالازهر الشريف وتـردد علـى الجامعة المصرية وفي سنة ١٩٢٣ عاد الى مسقط رأسه وأسس مـع رهط من رجال الفضل « دار العلوم الاسلامية » وزاول التعليم فترة من الوقت وسرعان ما هجره للعمل في الحركة الوطنية بعد ان وضح الخطر الصهيوني أمام كل عربي واع .

وليؤدي « كامل » رسالته القوميــة في صدق واندفاع ولـج ميدان الصحافة واصدر مع السيد حسن فهمي الدجاني جريدة وطنية حرة باسم « الجزيرة » وصدر العدد الاول منها بيافا في ٣١ كانـون الثاني ١٩٢٤ ونشر في العدد الاول قصيدة وطنية القاها بين يـدي المغفور له الملك حسين بن علي اثر قدومه الى عمان عاصمة الاردن ، وقد قوبلت بالتقدير والاعجاب .

واشتهر « كامل » كخطيب مفوه ، وكصاحب قلم مبدع وكشاعر وجداني رقيق واشترك في المؤتمرات الفلسطينية كلها ونشر في جريدة « فلسطين » اليافية عشرات المقالات بتوقيع « ابن فلسطين » .

وفي الثورة التي شب لظاها بفلسطين سنة ١٩٢٩ اعتقل «كامل» واودع سجن عكا كما سجن في يافا اثـر نشوب الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ .

واشتهر كعضو بارز في « الحزب العربي الفلسطيني » وكرئيس لفرعه في يافا كما كان رئيسا لمنظمة الفتوة التـي أسسها الحزب العربي في فلسطين وعضوا في الهيئـة العربية العليـا وعضوا في « المشروع الانشائي العربي » الذي أسسه السيد موسى العلمي . وساهم عن هذا الطريق بوقف بيع الكثير مـن الاراضي بفلسطين لليهـود .

وحمله وعيه القومي وبعد نظره الى الدعوة جهارا لمقاطعة السلع اليهودية فنظم حملات المقاطعة وقادها بنفسه ودعا بحرارة واندفـاع الى قطع الكهرباء عن المؤسسات والمنازل العربية لان فلسطين تتزود بالكهرباء من مشروع روتمبرغ . وليكون قـدوة حسنـة للمواطنين العرب قطع التيار الكهربائي عن منزله في يافا مؤثرا الضوء العادي على كهرباء روتمبرغ الصهيوني !

وبعد حلول النكبة الاولى بفلسطين سنة ١٩٤٨ لجأ مع افـراد اسرته الى مدينة الزرقاء بالاردن لفترة قصيرة ثـم انتقل الى بيروت وشرع ينشر بعض منظومه في جريدة « الحياة » وكان الباعث علـى نظمها الاحداث السياسية التي مر بها العالم العربي .

نماذج من شعره : قرض « كامل » الشعر في سن مبكرة ، واغلب قصائده تفيض بالاشواق القومية والدعوة الى الوحدة العربية والحذر من اعدائها !

ولم يمر بالعالم العربي حادث مروع او حدث يدعو الى الغبطة الا ونظمه « كامل » شعرا قوميا يبعث على الزهو والاعتزاز ! ومـن قوله في معركة « الكرامة » التي نشبت بين العرب واسرائيل في غور الكرامة بالاردن :

حي الكرامة واهتف باسم فتيتها ... والرابضين ابـاة في رواسيهـا
وامسح على الجرح بالتكريم انلهم ... حق الرجولة في تكريـم اهليهـا
ردوا الكرامة عند الروع، راضية ... يوم الكرامة ، اذ نادى مناديهـا
جاء العدو يسوق النار مضرمـة ... ملء الوهاد وملء الجـو داويها
فاستقبلوه بنـار مـن صدورهم ... اشد وقدا ، ونـار من مواضيها
الدار ، والثار ، والابرار مشرفة ... مـلء المسامع والابصار داعيهـا
الله اكبر! هذا الصوت‌صوت ابي ... لبيك لبيك ! انـي اليوم صاليها
لمثل هذا أعد النفس مـن صغر ... فاليوم ابلغ نفسي مـا امـيهـا
لبيك يا وطني ! لبيك يـا شرفي ... انا بنوها ، وانـا اليوم نحميهـا

وانقض‌كالشهب، لا يرتد عن‌هدف ... نارا على النار تصليـه ويصليها
حتى يرد جمـوع البغي خاسئة ... ويشفي النفس ثارا مـن اعاديها
عاد العدو، يجر الخزي مندحرا ... ينوء ظهـرا بصرعاه ويبكيهـا
ولى ، وخلى دروع البغي شاهدة ... على البطولات، تشكوها ، وترويها

هذي الطريق، وقد بانت مسالكها ... من بعـد تيـه زمانا في فيافيها
يـوم الكرامة جلاهـا ونورهـا ... فمـا تضل الهوادي في دياجيهـا
اقدم على الموت يرتد العدى رهبا ... الخوف يردعها ، والخوف يفزيها
من استماتاتقاه الموت، وابتسمت ... لـه الحيـاة ، وهابته عواديهـا

الدار داري، والجنات غرس يدي ... والارض ارضي ، وهذا منبتي فيها
ان تستقروا بها ، لن تنعموا أبدا ... بالظل والروح في جنات واديهـا
غدا علـى ربوات القدس موعدنا ... الى المروج ، وفي الشاطي مراسيها

٢ ـ انطون سليم كنعان

تحدر من اسرة كنعان اليافية الاصل ورأى نور الحياة في القاهـرة وتعلم في مدارسها وحصل على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة ثـم ليسانس الحقوق ، واحرز « الماجستير » في القانون الخاص والقانون العام وأعد اطروحة لنيل الدكتوراه بعنوان « المبررات القانونيـة لنظرية عرب فلسطين » وتولى تدريس القانون والسياسة والتاريـخ الى جانب مهنة المحاماة لدى محكمة النقض والمحكمة الادارية العليا.

وتميز المترجم له منذ فجر شبابـه بالدفاع عـن القضيـة الفلسطينية ، وتقديرا من المسؤولين في الجمهورية العربية المتحدة اختاروه مستشارا صحفيا وأوفدوه الى المؤتمرات والمحافل الدولية للدفاع عن أظلم قضية عرفها التاريخ ، ووصل صوته الـى اسماع البابا الراحل بيوس الثاني عشر حيث قابلـه في الفاتيكان وتوطدت علاقته بالبابا الحالي بولس السادس وكان يشغل آنذاك وظيفة نائب وزير الخارجية ، وعندما عقد المؤتمر المسكوني في شهر سبتمبر ١٩٦٥ في الفاتيكان رأس الاستاذ كنعان الوفـد الفلسطيني وقابل البابـا بولس السادس .

وقبل هذا الوفد رأس الوفد الفلسطيني في المؤتمـر الاسيوي الافريقي المنعقد في اكرا عام ١٩٦٤ وحاضر في جامعات روما وتورينـو وباريس وليون ولوزان وغيرها باللغتين الانكليزية والفرنسية شارحا خفايا واسرار قضية فلسطين ، وكاشفا عـن مؤامرات الاستعمـار

وربيبته الصهيونية ، ومستصرخا الضمير العالمي لمناصرة الحق والحفاظ على طابع فلسطين العربي . ومن جراء خطبه ومحاضراته هاجمته الصحف الضالعة مع اسرائيل والاستعمار .

من آثاره القلمية : يعتبر الاستاذ كنعان من الثقات في تاريخ القضية الفلسطينية وقد كرس لها جهده وخصها بالمؤلفات التالية :

١ ـ المبررات القانونية لنظرية عرب فلسطين . طبع سنة (١٩٤٧)
٢ ـ تدويل الاماكن المقدسة . (١٩٤٩)
٣ ـ التقتيل الجماعي في ارض السلام (١٩٥١)
٤ ـ الصهيونية التقليدية . (١٩٥٥)
٥ ـ فلسطين والقانون . (١٩٥٧)
٦ ـ وثيقة بلفور وشريعة الالتزامات . (١٩٦٤)
٧ ـ تفنيد وتحليل مشروعية الوجود الصهيوني في فلسطين . (١٩٦٥)

نموذج من نثره : « تغذي الدعاية الصهيونية خيال اليهود وغيرهم ممن وقعوا تحت تأثيرها في العالم ، بما كان لليهود في أرض الميعاد من كيان سياسي وقومي وثقافي قبل الفين من السنين . وتهدف نظريتهم هذه ، من وراء هذا الادعاء الذي كاد يستقر في الاذهان كواقعة مسلم بها ، الى ان فلسطين قانونا وجنسا وتاريخا هي وطن اليهود الذي يسعون اليه من شتى بقاع العالم ، اذ لهم الحق في العودة ولهم الحق في امتلاك هذا الوطن ، ولهم الحق في احياء وجوده وكيانه .

وهذا الراي « الرباط التاريخي » الذي طالما شغل صحافة العالم بقيادة هرتزل وكتب مؤرخي الصهيونية ونقاش المفكرين بزعامة مانين ، يكابر في حقائق ثابتة .

ولعل هذه الحقائق الثابتة تقوض ادعاء الصهيونية العالمية من اساسها رغم اشرافها فعلا على معظم وسائل الاخبار والاعلام والصحافة في العالم الحديث ، اذ ليس لليهودية منذ فجر التاريخ المعلوم خصائص ومميزات الشعب الواحد المستقل من الناحية البيولوجية وفي مضمار عالم الوراثة .

يقول البروفسور دالهاوزن استاذ علم الوراثة في اكرون (ولاية اوهايو) : « لعل آخر من يتكلم عن خصائص وراثية مميزة هو هذا الدين الموصوف بالموسوية حيث جمع في بوتقة واحدة شتى الشعوب المعروفة التي كانت تقطن منذ ثلاثة آلاف عام في شمال افريقيا وجنوب اوروبا وغرب آسيا . وليست اليهودية بطبيعتها تجمعا عنصريا ، ولكنها بتعاليمها ومجمل افكارها طائفة دينية استولت على ضمائر بني يعقوب ودفعتها دفعا الى تلك المنطقة الآهلة بمختلف الهيئات والاجناس ، فلا محل لاعتبارها سلالة بشرية مستقلة او قائمة بذاتها » .

فهناك يهود ألمان وفرنسيون وروس وعرب ، كما ان هناك اديانا اخرى كالاسلام والارثوذكسية والكاثوليكية والبوذية . اما ان ذرية الشعب اليهودي هم احفاد من كانوا في فلسطين ثم شردوا منذ الفي سنة ، فهذا ادعاء يفتقر الى الاساس العلمي ، ولا ينسجم مع المنطق السوي بعد ان سافروا واستقروا وتمازجوا وناسبوا امم الارض طرا ، سيما وليس في نظر القانون الدولي « رباط » يربط هذا التجمع البشري كاللغة او العنصر او الهدف او الآلام المشتركة او المصلحةالمتحدة كما هو الحال لكل دولة من دول المعمورة . فاللغة العبرية التي يتشدقون بها كرباط يجمع شتات اليهود التائهين ظلت لغة كتبهم الدينية التي يجهلها ٩٩٪ من اليهود ولم يفكر في احيائها اصطناعيا الا مؤخرا بسبب قومي وعنصري في فلسطين ،ومع ذلك فهي مجهولة من اغلبية سكان فلسطين » .

٣ ـ محمود عبد الحميد الافغاني

ولد « محمود » في مدينة يافا بفلسطين سنة ١٩٢٥ وفتح عينيه على والده الحاج عبد الحميد الافغاني العالم بالآثار والمتبحر في الدين والضليع من الادبين الفارسي والتركي ، ومرتجل الشعر بالفارسية ارتجالا مدهشا .

تلقى « محمود » علومه الابتدائية في مدرسة العلوم الاسلامية بيافا وهجرها قبل ان ينهي الصف الابتدائي الرابع ونظم اول قصيدة في التاسعة من عمره وكانت بعنوان « امتي » وقد نشرتها جريدة « فلسطين » اليافية تشجيعا له فاولاه والده الشاعر عناية خاصة اذ يسر له التثقيف على يده وعهد به الى العالمين الشيخين اسماعيل الريماوي وسليم اليعقوبي اللذين ثقفاه ثقافة عربية أسلامية فخرج الى الحياة مسلحا باربع لغات هي : العربية والفارسية والعبرية والانكليزية .

عاصر شاعرنا الحركة القومية وعاش النضال الشعبي في فلسطين فنظم القصائد الوطنية وصور التآمر السكسوني ـ الاسرائيلي على عروبة فلسطين وعبر عن مشاعر قومه ، وكانت قصائده حديث الشباب في فلسطين وشقيقاتها ، ومن اشهرها قبل النكبة الاولى قوله :

شباب البلاد وركن الحمى دعاكم حماكم فلبوا الندا

وتقديرا للشعور القومي الذي اتسم به شعره حفظه الطلاب في المدارس وتناقلته الصحف العربية ولحن من اذاعات العالم العربي واشهرها قصيدة « موطني » ومطلعها :

موطني يا موطني ما اروعك أي فردوس يحاكي اربعك ؟!

وبعد ان عصفت النكبة الاولى بفلسطين سنة ١٩٤٨ بارح شاعرنا ثغر يافا مع افراد اسرته الى مدينة بيت لحم اولا ومنها الى مدينة السلط بالاردن وطفق يرسل من « صومعة الحيرة » شعرا لاهبا وينشره في الصحف اليومية ويبثه من اذاعتي القدس وعمان .

واتسم شعر الافغاني بالحنين الى مدارج صباه والتذكير بها والحض على استردادها ، كما اتسم بمتانة النظم وروعة الاسلوب ورقة العاطفة . ولنستمع اليه في قصيدة « العيد » حيث يقول :

قلبي ينوء بحمله وبدائه وتكاد تصهره لظى برحائه
يصلي .. فيوشك ان يبوح بسره فيصده عنه عظيم حيائه

الى ان يقول :

اذكرتني يا عيد نكبة امتي ومصاب شعب تاه في بيدائه
وبعثت في الذكريات مريرة للموطن الغالي ، الى افيائه

ومنها قوله :

يا عيد، سل كل الورى عن موطني سل موطن الابطال عن شهدائه
انا من بلاد لن تطاطىء رأسها يوما لغير الله في عليائه
انا صابر ، متيقظ ، متوثب مترقب للفجر عند ضيائه
لا بد من فجر وان طال المدى فدع العدو يهيم في خيلائه

نماذج من شعره : لا تطل مناسبة قومية او تثور انتفاضة وطنية الا ويهتبلها « محمود » « شاعر شباب فلسطين » في مناجاة وطنه المغصوب وبث شكاته ، وشرح الظلامات التي نزلت به والتنديد بظالميه والتشهير بالجرائم التي انزلوها باهله .

ومع اطلالة عيدميلاد عيسى بن مريم رسول السلام يقول (الافغاني) مصورا روعة هذه الذكرى ، ومخاطبا صاحبها بما أصاب العرب من وهن وتفسخ :

ما بال دمعك لا ينفك منسكبا وما لروحك تشكو الهم والنصبا
وما لقلبك بالآلام توهنه ؟ وكم تكتم جرحا بالدم اختضبا
كفكف دموعك واحبسها على جلد فلست وحدك فردا تحمل التعبا

كفكف دموعك في ذكرى مباركة في يوم مولد عيسى من سما رتبا
وقم تحدث الى الدنيا وآهلها عن المسيح وعن آياته العجبا
وارو القلوب العطاشى من مآثره فالدهر يصغي.. فغرد فيهما عذبا

ماذا احدث عن عيسى ودعوته واصله قد علا فوق الورى نسبا

ماذا أقول بشعري فيه ممتدحا   والله قد خصه بالفضل منذ حبا
عيسى .. أجل واعلى من مدائحنا   مهما احاول، لا ، لن أبلغ السحبا

عيسى.. اناجيك في ذكراكمن كبد   دام .. يكتم جرحا فيه مختضبا
تجيش في الصدر آلام تمزقه   فاكتم الهم فوق الهم .. واللهبا
يا ابن البتول اذا ما ذبتمن كمد   فلا تلمني.. فدمع العين قد نضبا

ايه رسولالهدى، قومي غدوا بددا   واربعي للعدى، عيسى، غدت نهبا
وقومي العرب في كيد وفي جدل   ولا أرى موجبا للخلف ، او سببا
هم يهدمون بايديهم بيوتهم   فيرقص الخصم من افعالهم طربا
الى متى يا مسيح الله فرقتهم ؟   ماذا يقولون للتاريخ ان كتبا

متى أرى العرب قلبا واحدا وأرى   كل العروبة جسما ان شكا نصبا
متى أرى العرب والآمال واحدة   وأبصر الخصم ، مذهولا ومضطربا
متى أراك « فلسطيني » محررة ؟   واشهد العلم الخفاق منتصبا
متى أعود الى الجنات في وطني ؟   متى تطهر ممن عاث واغتصبا
يا رب رحماك وحد شمل امتنا   ولا تدع صرحنا يا رب منشعبا
يا رب.. وفق بلاد العرب قاطبة   فالارض والناس ، والدنيا لمن غلبا

تحية يا مسيح الله عاطرة   يا ابن البتولشذاها جاوز الحقبا
ان لم ابثك شكوى مهجة دميت   فمن أبث ، وأنف الخطب قد حزبا
عيسى ادع ربك عل الله يرحمنا   وعله من سبات يوقظ العربا

ومن مؤتمر الجبهة الاسلامية المنعقد في مدينة عمان عاصمة الاردن في ربيع عام ١٩٦٨ وقف شاعر شباب فلسطين وأنشد المؤتمرين :

أخي.. والله، اشعاري   وفوق قصائدي ، نثري
يضافلهن ما في الكتب   من شعر ومن فكر
يضاف لهن من خطبوا   ومن كتبوا على الدهر
اذا قيسوا باجمعهم   بمن قبضوا على الجمر
بمن بذلوا، بمن ضحوا   بارواح ، لهم طهر
فلا والله ما عدلوا   رصاصة باسل ، حر

بجندي من الجيش   وفي صادق العهد
بجندي من الاردن   من أبطاله المرد
من الجند الذين مشوا   لساح المجد كالاسد
ومن قد لقنوا الاعدا   ء درس الحر للعبد
بجندي من الجيش   وما أدراك ما الجندي
أبيعك كل اشعاري   ومكتبتي وما عندي

بكل النثر والشعر   وكل منابر الادب
وكل مجامع العلم   وكل نفائس الكتب
وكل روائع الاعجا   ز والابداع في الخطب
وكل اصالة الفصحى   على الايام والحقب
رصاصات يسددها   لقلب الخصم عن كثب
أبي لست تعرفه   بلا اسم ، بلا لقب
ابي من بني قومي   فدائي من العرب

اخي قسما باوطاني   بكل مقدس غال
أخي.. قسما بتربتها   أخي .. قسما بابطالي
أخي..قسما بمنجادوا   بأرواح ... واموال
أخي..قسما بمنذهبوا   ضحايا غدر انذال
سيرجع شعبنا وطنا   أحالوه لاطلال
سنبعثه ، سنبنيه   لاجيال ... وأجيال
بارض القدس موعدنا   بارض الموطن الغالي

وفي عيد الهجرة لعام ١٩٦٨ صور « الافغاني » مشاعره بشعر وجداني عذب قال فيه :

لا تعذليه ، ففي احشائه ضرم   ولا تلومي شجيا هده الالم
حسب الليالي ما اودت بمهجته   وحسبه من لظاها السهد والسقم
نشوان من قسوة الاقدار يجرحه   مر النسيم ، اذا مرت به نسم
أودى به الدهر ما أودى! ولا عجب   فالدهر كالناس لا ترجى له ذمم

يا أخت خلي الفتى، فالبين أذهله   والهم، والغم ، والايام ، والضرم
فرفهي عنه بعض الهم في كلم   أو في حديث.. لعل الجرح يلتئم
فحدثيه عن الامجاد ، عن بطل   هو النبي العظيم الصادق العلم
وحدثيه عن الهادي وهجرته   الى المدينة، حيث الياس والشمم
يا سيدي يا رسول الله هجرتكم   من طهر مكة أمر خطه القلم
هاجرت لله، ما هاجرت عن وجل   ولا مخافة من في قلبهم صمم
قد شاء ربك أمرا فامتثلت له   اذ جاء جبريل يزجي امره لكم
أهبتبالصحبفانصاعوا علىمضض   فكيف يهجر أهل البيت بيتهم
وقلت للصحب ، ان الله يأمرنا   وأمره الفصل، فهو الفصلوالحكم

وافيت يثرب فيمن هاجروا زمرا   وخلفوا الوطن الغالي وراءهم
كنتم ضعافا جوار البيت في عدد   نزر ، معزز بالانصار جمعكم
ففي المدينة انصار قساورة   شم ، يهاب الردى والكفر باسهم
آخيت ما بين جند الله فاتحدت   كل القلوب ، ولم الله شملكم
ولم شمل حماة الدين في بلد   هو المرؤات والاقدام والكرم

مكثت في يثرب حينا تحرضهم   على الجهاد، وهم أهلالجهاد، هم
وقال ربك ، عد للبيت منتصرا   وطهر البيت ممن منكمو نقموا
وعدت للبيت ، بيت الله تنقذه   من عصبةالشركممن فيالضلالعموا
وبدد الله شمل الشرك وانتصرت   رسالة الله .. وانقادت لها الامم

يا سيدي ، يا رسول الله معذرة   اذا وجمت ، واما خانني الكلم
عاث الطغاة فسادا في مرابعها   وحللوا حرمات الله .. وانتقموا
مسراك في القدسكم عاث البغاة به   كم دنسوه وكم؟ كم دنس الحرم
حتى بكىالدين في محرابمسجده   مما يلاقي.. وضج السهل والاكم

يا سيدي، يا رسول الله في كبدي   نار وفي مهجتي النيران تضطرم
لو رحت أشرح عما بت اكتمه   أو رحت اوضحه زلت بي القدم
فاين ، اين رسول الله اين ترى   أهل العروبة ؟ أين اليوم باسهم

٤ ــ الدكتور نبيل شعث

ولد « نبيل » في مدينة « صفد » بفلسطين عام ١٩٣٨ ودرس في مدرستها الابتدائية وبعد حلول النكبة الاولى التي عصفت بفلسطين عام ١٩٤٨ انتقل مع والده المرحوم علي شعث الى الاسكندرية ودخل مدرسة الرمل الثانوية واكمل دراسته الثانوية عام ١٩٥٤ ثم واصل دراسته في جامعة الاسكندرية واحرز منها شهادة بكلوريوس في التجارة ـ بمرتبة الشرف ـ عام ١٩٥٨ وبعدها قصد الولايات المتحدة ونال شهادة الماجستير من جامعة بنسلفانيا عام ١٩٦١ وكان موضوع الدراسة التي قدمها « دور البنوك في التنمية الاقتصادية للشرق الاوسط العربي » ، وواصل الدراسة للدكتوراه في الاقتصاد الاداري فاحرزها عام ١٩٦٥ وكان موضوع الاطروحة التي قدمها للجامعة « دور التعليم وتنمية المستويات العليا من الموارد البشرية في التنمية الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة » وتخصص في ادارة الاعمال والاقتصاد وعين مدرسا في جامعة بنسلفانيا (١٩٦١ ـ ١٩٦٥) واستاذا مساعدا في المعهد القومي للادارة العليا بالقاهرة (١٩٦٥ ـ ١٩٦٨) واختير

عتاب

لانك كنت لي حلما شهيا ... يداعب كل آن مقلتيا
لانك كنت لي املا حبيبا ... هجرت وما تركت لدي شيا
وغبت عن الديار بلا وداع ... وقد خلفتني فيها شقيا
كأنك لم تكوني البدر يلقى ... بصدر جوانحي الافق السنيا
ولم أسطع على عينيك فجرا ... يتيه على الكواكب عبقريا
كأني لم اكن في الحب يوما ... أبا الخطاب اذ عشق الثريا
أذوب عليك تحنانا ووجدا ... كما ذاب الضياء بناظريا
فرشت لك الحنان بكل درب ... بساطا كالمودة سندسيا
وعجت على الخميلة اجتنيها ... هوى حلوا وسحرا بابليا
تغار المقلتان هوى وحبا ... اذا قبلت بسام المحيا

ولست معاتبا ابدا لاني ... أراك على العتاب ازددت غيا
فأنت وان هجرت شذا لروحي ... وأنت على المدى للقلب ريا
فمن عينيك لي تذكار حب ... أنيس آه كم يحنو عليا
يسامرني اذا ما طال ليلي ... ويبتعث الاسى عذبا رضيا
فيا من غبت عن عيني اني ... أراك بكل سانحة لديا

دمشق

خليل خلايلي

مديرا لمركز الابحاث وعضوا في مجلس ادارة المعهد القومي للادارة العليا (١٩٦٩) ثم عين استاذا مساعدا بالجامعة الاميركية في بيروت عام ١٩٦٩ .

من آثاره القلمية : وللدكتور نبيل بحوث وكتب منشورة عرفنا منها :

١ ـ الاستراتيجية والادارة العليا : (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٧) .

٢ ـ التدريب الاقتصادي لمديري شركات القطاع العام في الجمهورية العربية المتحدة (باللغة الانكليزية) (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٦) .

٣ ـ التخطيط الاستشاري على مستوى المشروع في الجمهورية العربية المتحدة (نشر في مجلة المدير العربي ١٩٦٨) .

٤ ـ دور التعليم وتنمية الموارد البشرية في التنمية الاقتصادية (باللغة الانكليزية) (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٨) .

٥ ـ الحوافز والاجور وعلاقتها بهيكل العمالة في ج. ع. م (باللغة الانكليزية) (من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا، القاهرة ١٩٦٨) .

٦ ـ هيكل الاجور والعمالة في ج. ع. م (نشر في مجلة « الادارة » بالقاهرة ١٩٦٩) .

٧ ـ تنمية القوى العاملة الافريقية ودور المساعدة الفنية الاجنبية (باللغة الانكليزية) (تقرير المؤتمر الخامس للتنمية الادارية في افريقيا) (وهو من سلسلة دراسات المعهد القومي للادارة العليا ، القاهرة ١٩٦٧) .

نموذج من نثره : « لا بد انك قد قرات عن استراتيجية النفس الطويل او عن الاستراتيجية الفابيانية ، ولعلك قد سمعت عن استراتيجية الردع الحاسم والاستراتيجية الذرية الحديثة . فما هي مقومات هذه الاستراتيجيات وما جدواها للادارة العليا في منظماتنا الاقتصادية المعاصرة ؟ وفي مجتمعنا ؟

ان علماء الاستراتيجية المعاصرين يجدون تشابها كبيرا بين الاستراتيجية التي يمكن ان تستخدمها لردع اسرائيل وبين تلك التي قد تستخدمها لعبور ميدان التحرير بسيارتك او للتاثير على سلوك مرؤسيك او لاقتحام احد اسواق التصدير . ان كان ذلك يبدو امرا غريبا فهو راجع الى التغير الكبير الذي طرا على مفهوم الاستراتيجية في العصر الحديث حتى اصبحت فنا هاما وحيويا لا يمكن لمنظمة متقدمة اهماله او تركه للظروف .

والمصدران العلميان الرئيسيان للاستراتيجية هما :

١ ـ علم الاستراتيجية العسكرية .

٢ ـ نظرية المباريات .

ولذلك فان دراسة مبادىء وافكار كل منهما ضروري لرجل الادارة العليا المهتم بتخطيط استراتيجيات ناجحة لمنظمته .

يرجع الاستخدام الاصلي لكلمة « الاستراتيجية » الى المجال العسكري ، فالكلمة ماخوذة من اللغة اليونانية وتعني حرفيا « فن الجنرال » او « اساليب القائد العسكري » ولكن الاستخدام الحربي نفسه تعرض لتطورات كبيرة على مر العصور ، فالاستراتيجية عند فون كلاوسويتز كبير الكتاب العسكريين في القرن التاسع عشر هي فن استخدام المعارك كوسيلة لتحقيق اهداف الحرب . وبالرغم من ذلك الكاتب الشهير لم يقصر فنون الحرب على المعارك الحاسمة الا ان تلاميذه من بعده وخصوصا الجنرال الالماني لودندورف ركزوا على ذلك المعنى حتى اقترن تعريف الاستراتيجية في وقت من الاوقات بدخول المعارك الفاصلة للقضاء على جيش العدو وتحطيم امكانياته ! » .

عمان ـ الاردن

البدوي الملثم

اقصر من درب الوحشة

عدنان محمد الدرويش

يا ليلة تضيء بالالوان
تنــوء بالحمل
تضج فيك الحياة
واهنة كخيوط الوهم
واهنة كالصبح الكاذب
واهنة كحياتي
في ليلك بعض من ذاتي

الليل ، الليلة ، اقصر
اقصر من كل ليالي
وعقارب ساعاتي تركض
تركض كي تنهي ازماني
كي تقتل زمني ومكاني
كي تسجن خلف الجدران
سنة من عمري الفاني :
الليــل الليلــة اقصر :
اقصر من درب الوحشة
الدرب الدرب اللامقفر
... الوحشة لا يغفر
ان يخلي الدرب من الوحشة :
من ضجة مجنون ؟
من همس ، من لمس ، من رعشة :
الليل ، الدرب اللامقفر :
يزرع في كبد الايام رياحه
ويدور على حان الدنيا
كي يشهر في وجه الكون سلاحه
يقطع من جسم الدهر سنة
يولده في جوف الليل سنة
ما .. ت .. ء .. اش .. ما ..
من يدري ما الفرق ، وما الفرق بسيط .
.... ، فلترقص عشرات الارجل
ولتركــل ...
ولتصرخ ولتشتم .. ، ولتلعن
في السنــة المنصرمــة
ولتبسم ، ولتهنأ يا عاما يولد
فقطيع الاغنــام يسير
والليــل الليلــة اقصر
اقصر من كــل ليالــي
وعقارب ساعاتي تركض
كي تلقي في جــوف النسيان
سنة من عمر الغثيان ..

حق اليهود الروحي في بلادنا

بقلم اسمى طوبي

***

واود ان اسأل .. كيف يعطى الحــق الروحــي لشعب ما ..؟. وكيف ينفذ ..؟

لنفرض جدلا ان ديانة فرد ما وهبته بلدا آخر فماذا يحدث ..؟

لنقل مثلا ان بوذا زعيم الهنـد الروحـي .. او كنفوشيوس زعيم الصين الروحي وهب احدهما عابديـه واتباعه امريكا او انكلترة قائــلا لهؤلاء الاتباع « لكـم ولنسلكم من بعدكم اعطي هذه الارض » فماذا يكون موقف امريكا او انكلترة من هذه الهبة ..؟ هل تتركان الهند او الصين تزحفان وتستوليان علــى بلادهما لان بــوذا او كونفوشيوس وهبهما اياها ..؟ هــل تخضع امريكــا وانكلترة ام تقولان انــه مجرد هــراء وتحاربانه بكـل قواهما ..؟ وماذا يكون موقف العالم كله من هذا الغزو.. ايوافق ويبارك ام يبهت وينقض ..؟

قد يقال ان الامر هنا يختلف عنه هناك ذلــك لان الله الذي وعد الاسرائيليين بفلسطين هــو الهنا جميعا وعلينا ان نطيعه .. ولكنني اقول وبملء فمي .. كلا .

اولا لانه الههم وحدهم .. هم خلقوه وصوروه الها سفاك دماء مجرما مثلهم .. يحارب كل الشعوب لاجلهم .. يذبح الاطفال والشيوخ والمرضى لاجلهم كما سنرى .

ثم انه اله اسرائيل فقط .. وانت اذا ما عدت الى التوراة تجد ان موسى يقول لهم باستمرار هــذه الجملة « هكذا قال الرب اله اسرائيل .. وتظل هــذه الكلمات تتردد عشرات المرات من داود الى اشعيا الى .. وهــي الرب اله اسرائيل » .

رب الجنود .. ثم ان الههم هذا اله حرب .. هــو رب الجنود دائما .. ولرب الجنود هــذا رئيس جنــد ايضا .. رئيس جند مسلح .. ويقول يشوع في اصحاح ٥ عدد ١٤ ان الملاك ظهر له ساحبا سيفه وقال يخاطبـه « انا رئيس جند الرب » .

واله الحرب هذا لا اجد لشره وصفا .. يفتــح يشوع اريحا فيأمر جنده ان يقوموا بمجزرة بعد سقوط اريحا .. وبعد استسلام اهلها .. ان يقوموا بمجزرة ولا افظع يقول لهم في سفر يشوع اصحاح ٦ عدد ٢٢ هــذه الكلمات :

« حرموا كل ما في المدينة من رجل وامراة وطفـل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف » .

ويسر اله اسرائيل بما فعل نبيه يشوع ويأمـره في سفر يشوع عدد ٨ قائلا « افعل بمدينة عاي وملكها كمـا فعلت باريحا وملكها » .

ويتم هذا في كل مدينة يفتحها الاسرائيليون يومئـذ .. يدخلون المدينــة ويدورون في شوارعها ويدخلـون منازلها يذبحون كل من فيها .. انه الــه يأمر بالمجازر او جعلوه هم كما يريدون .. وكما يرضي جبلتهم الشريرة.

كلا انه الههم وحدهم .. اما نحن فالهنا شيء آخر.

الهنا هو الذي علمنا بواسطة مسيحه انه اب لكـل الناس .. فيه كل ما في الاب من حنان وعطف ورحمة.. ابانا الذي في السموات .

الهنا هو الذي اوصانا بواسطة نبيــه العربـي ان نفتتح صلاتنا فنقول « باسم اللــه الرحمن الرحيم » .. وما اروع الرحيم هذه .

الهنا هو الذي علمنا ان نحب الاطفال لا ان نذبحهم « دعوا الاولاد يأتون الي لانه لمثل هؤلاء ملكوت السموات».

الهنا هو الذي جعلنا انبل المحاربين .. واشرف وارحم الفاتحين .

الهنا شيء آخر عن الههم .

ولقد يقال بعد ذلك .. وما ذنبهم والتوراة نفسها توحي بهذا فاقول .. وهل التوراة التـي بين ايدينا هي النسخة الصحيحة عن التوراة الاصلية ام انهـم حـوروا وتلاعبوا بتلك الاصلية ما شاؤوا .. ثم وضعوا ما حوروه وما يناسب اهدافهم وشرهم بــين ايــدي الناس ..؟ وادعوا ان الله امرهم بكذا وكذا ..؟

لقد اجمعت الحفريات اليوم ان هناك اكثر من توراة في العالم .. وان هناك اكثر من نسخة يختلف بعضها عن البعض الآخر وهاك ما وصلنا من هذه المتناقضات حتــى الآن .

اولا .. لقد اكتشف مؤخرا في حفريات رأس شمرا بسوريا توراة الف عنها ادمــون جاكوب كتابــا بعنوان « راس شمرا والعهد القديم » . كتب فيه مع مــا كتب مثبتا ادعاءات اليهود وتزويرهم قال مع ما قال :

« لم يفعل اليهود القدامى والمحدثـون الا تشويـه معالم هذا الكشف العلمي وصفاته » .

ثانيا .. بين التوراة التي يحملهــا الناس اليـوم والتوراة السريانية اختلاف في اشياء كثيرة .. ولقد ثبت ان قسطنطين البيزنطي الــذي كان اول امبراطور اعتنق النصرانية عام ٣٠٥ بعد المسيح كان اول من طلب اسفار التوراة والانبياء واقدم على اول عملية نقد مقارن عرفهــا التاريخ وقبله لـم يكن للعالم معرفــة بعمليــة التزويـر التي اقـدم عليها اليهــود .. والتــي جعلت التــوراة السريانية تختلف عن التي بين ايدينا .

ثالثا .. لقد وجدت مؤخرا في وادي الملــوك بمصر توراة عمرها ٤ آلاف عام وهي مخطوطات لاسفار متفرقة

حصان العودة

أنـا الاوراق يا وطني
اذا البرد ادلهم عليك
أنـا الوصل الذي نسجت
عقاربه دم الساعات
أنـا الرقم الذي طرقت به
يمناك صدر الليل
طـار النـوم
قطارا مغلق الساحات
أنـا التاريخ يا وطني
لماذا يا وجوه القوم فاكهة الصبا تقتل
لماذا الشرق لم يسكن قرى وطني
ويرفو الجـرح
لماذا لا أرى الاكمات تكسوها صبايانا
وعصفورا جديد الوصل
يرى في خطوط الصبح
اطمئن كل من نقشت اصابعه
على الجدران في وطني
اطمئن من بكى طفلا فطاف النهر
وحطابا تابط فاسه خيرا
يرى الاغصان شاخصة
على بوابة الغابة
وغصب القهـر
اطمئن نقشة الازميل
حصان العودة الحمراء
يصهل في الهواء الطلق

حلب — محمود علي السعيد

اذ لم يكن هنالك طباعة .. وهي اليوم تحت الدراسة .

لقد كتب موسى الاسفار الخمسة الاولى في التوراة وهي تكوين .. خروج .. لاويين .. عدد .. تثنية .. ودرج بعد ذلك كل حاكم او فاتح على كتابة ما حدث له .. وظلت هذه الاسفار وعددها ٣٧ سفرا وكل سفر مكون من عشرات الصفحات .. ظلت متفرقة مخطوطة من عهد موسى الى ما قبل ٥٢٥ عاما فقط حيث اخترعت الطباعة وطبعها الالمانيان يوحنا غوتنبرغ وزميله بيير شومي .

ولنا بعد ذلك ان نتساءل ـ وبين ايدينا اربع نسخ ثبت في اثنتين منها التغيير والتبديل ولا اقول التزوير ـ لنا ان نتساءل كم لعبت الاهواء والغايات دورها في الجمع والنسخ .. وبين ايدي امة تحول كل كلمة لصالحها الخاص ..؟ ثم ولماذا يعتمد الحاخامون انفسهم على التلمود اكثر من اعتمادهم على التوراة ..؟

ومع كل ذلك لنعد الى التوراة التي بين ايدينا ونقبلها كما هي قائلين « من فمك ادينك يا اسرائيل » لنعد الى الوعد نفسه .. الى بلادنا التي وعدهم بها الههم اله اسرائيل .. وفي كم شكل ورد الوعد .؟

تقول التوراة في سفر التكوين اصحاح ١٥ عدد ١٨ هذه الكلمات لابراهيم « لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » .. اي ان الله اعطاهم « من النيل الى الفرات حدودك يا اسرائيل » .. ولكن ما بال هذا الاله غير رايه بعد اصحاحين من التكوين فقال لابراهيم نفسه في اصحاح ١٧ عدد ٨ هذه الكلمات حرفا بحرف :

« اعطي لك ولنسلك من بعدك ارض غربتك كل ارض كنعان » .

وارجو ان تلاحظ قارئي الكريم ان النص الاخير لم يقل ارض مصر وقد كانت يومئذ للفراعنة .. ولم يقل سوريا وقد كانت للاموريين .. ولا العراق وقد كانت تسمى ما بين النهرين .. بل قال « اعطيك ارض غربتك ارض كنعان » فقط ..

ترى هل ندم الله على الوعد الاول فحصر العطاء في ارض كنعان ارض غربة ابراهيم .. ام ترى الذين كتبوا الجملة الاولى « من النيل الى الفرات » نسيوا ما كتب قبلا .. ام انهم تراجعوا لانهم رأوا ان المساحة كبيرة وان لا لزوم لها ..؟

والمتناقضات الاخرى ومنها .. تقول التوراة في سفر التكوين اصحاح ١٥ عدد ٥ ما يأتي « واخرج الله ابراهيم الى خارج وقال له انظر الى السماء وعد النجوم ان استطعت ان تعدها .. هكذا يكون نسلك » .

ونسأل .. اين هو هذا النسل الذي بعدد نجوم السماء ..؟ وكيف مرت على الوعد الاف السنين وما زال عددهم ١٤ ـ ١٦ مليون نسمة .. ترى هل اعطي الوعد للصينيين الذين بلغ عددهم ٨٠٠ مليون نسمة ومع ذلك فهم يعدون .؟

ولقد يقول البعض .. ولكن ابراهيم كان ولده الاول اسماعيل .. ولعل الله قصد بنسل ابراهيم اسماعيل ايضا فجاء عدد النجوم هذا .. ولكن التوراة نفسها ترفض الفكرة بتاتا .. انها تقول في سفر التكوين اصحاح ١٧ عدد ٢٠ هذه الكلمات « اسماعيل اباركه واثمره ولكن عهدي اقيمه مع اسحق الذي تلده لك ساره » .

على كل هي تناقضات تضاف الى تناقضات .. وفلسطين للفلسطينيين اهلها منذ ٤ آلاف عام وستعود اليهم .

وجولة البطل ساعة

الرابية ـ لبنان — اسمى طوبي



بقلم حسني محمد بدوي



انا الان رجل في مغرب العمر . اذكر ايام شبابي كأنها الامس القريب . اذكرها يوما يوما وليلة ليلة ولاسيما تلك الامسية التي وقع لي فيها ذلك الحادث الغريب .

كنت احبس نفسي في شبه صومعة معظم النهار ، وهزيعا من الليل ، وانكب على مطالعة ديوان شعر او انهمك في محاولة رسم لوحة فنية . وكنت نحيل الجسم ، فارع القامة ، دقيق القسمات اسود الشعر غزيره ، مرهف الحس والوجدان والفكر . وكنت انفر من المجتمعات وافر من صحبة الاصدقاء والوذ بالتأمل في هداة العزلةوالصمت والواقع اني كنت اسمع اكثر مما اتكلم ، واساير اكثر مما اعترض . ولا اذكر اني استرسلت يوما في الضحك والقهقهة .

هكذا كنت ... ممن ينطوون على انفسهم ويحزنون بلا علة واضحة ! بل ممن لا يشعرون بوجودهم في الحياة الا حين يستهويهم مشهد من مشاهد الطبيعة فيثير مشاعرهم ويفجر في عيونهم الدموع . تلك كانت شخصيتي بل تلك كانت حياتي ، تسيل في ذلك المجرى الضيق المعتم المتشابه حتى وقع لي ذلك الحادث الذي بدل في عيني وجه الدنيا ، اما كيف وقع ، فهذا ما سأرويه بدقة وصدق وانا ما ازال اذكره وارتعش .. لم اكن اذ ذاك قد شعرت بحنان المرأة ورقة عواطفها الا من خلال دواوين الشعر التي كنت اعكف على مطالعتها او من خلال الالحان العذبة المشجية التي كانت تتهدى اليّ من الراديو . كنت بعيدا كل البعد عن بنات حواء ، وكنت سعيدا ، ومع ذلك فقد كنت قلقا ومضطربا ، احس ان نفسي تصبو الى شيء اجهله واتمنى ان اظفر به وانا لا اعرف على وجه التحقيق ما هو ..

وفي ذات ليلة رأيت في منامي حلما .. حلما تحف به غلائل من ضباب ... هناك في فضاء حديقة مقفرة مهجورة .. والشمس تميل الى الغروب ، هناك حيث فروع الاشجار عارية والاوراق جافة متناثرة والهدوء رهيب يملك فسحة الفضاء ، كأن العالم قد تبدد ولم يبق في الوجود غير هذه الحديقة ، رأيت فتاة جالسة على احد المقاعد الخشبية خلف الاغصان . كان شعرها فاحما مسترسلا على جانبي وجهها الناصع البياض وكانت ترف على شفتيها الدقيقتين بسمة طفولة حالمة . كان جمالها حزينا وثوبها اسود حالكا وعلى صدرها وردة بيضاء .

هذا ما حلمت به ، ثم صحوت . صحوت فجأة مأخوذا . ما الذي جعلني احلم بتلك الفتاة ؟ لبثت مدة طويلة شارد الفكر . ما كانت علة فزعي واضطرابي ؟ لست ادري . تملكتني الحيرة. ترى هل افزعني ما ابصرته في الفتاة من جمال رائع حزين ام ان غموضها هو الذي اخذني ؟ولكن اي غموض واية غرابة في حلم ؟ ومع ذلك فهذا الحلم كان ابرز احلامي وابقاها في مخيلتي ووجداني ! ظل يحيرني اياما . ولما اشتدت حيرتي تركت الامر بلا ايضاح او تعليل !

وفي ليلة اخرى ، ويا للعجب ، تكرر الحلم .. رأيت الفتاة نفسها ، بجمالها الحزين ، وثوبها الاسود ، وبسمة طفولتها الحالمة . رأيتها رأي العين . كانت باهرة الحسن .خلبت لبي . اسرت قلبي . كانت هي التي ابحث عنها ، هي التي انشدها . احببتها بكل مشاعري . احببتها بكل جزء من كياني . لم اعد ذلك المخلوق المنكمش المنطوي ، المنكب على كتاب تحت ضوء مصباح خافت تتراقص ظلاله على جدران غرفتي . اردت ان يستحيل هذا الحلم حقيقة ، اردت ان ارى تلك الفتاة في الواقع لا في الخيال ، فطفقت ابحث واتجول واغشى الحدائق والمتنزهات ، واتلهف على مواجهة ذلك المجهول الذي استبد بي وتحكم فيّ .

اجل ، كنت احس في قرارة نفسي اني سألقاها .. كنت اتمثلها دائما امامي ، انتزعها من ضباب حلمي ابعثها بارادتي واملي .

وفي ذات غروب ،ونسمة الخريف رطيبة ، غادرت صومعتي ، وعدت اتجولفي شوارع المدينةمارا بواجهات المحال الكبرى ، متجولا نحو شاطىء البحر اخرى ، مندفعا بقوة قاهرة لا اعرف سرها الى حديقة نائية بعيدة عن زحمة الناس ، واجتزت المشى ، وجلست هناك على مقعد منزو ، ثم تضجرت . ولم ادر لماذا لم آخذ معي اي كتاب ، ولكني وجمت بغتة واختلجت . كانت عندئذ مفاجأة العمر . حانت مني التفاتة فرأيتها .. هي .. هي بعينها ! ماذا ؟ اهي اسطورة ؟ أهي عودة الى الحلم ام انها واقع ، وواقع حي ؟ انها لواقع حي ، وها هي ذي ...

ها هي ذي فتاة احلامي تجلس الان تجاهي . كيف يحدث هذا ؟ لا اصدق بصري . اهي مخلوق من لحم ودم ام هي روح هائمة لا يستشفها احد غيري ؟ حدقت اليها مشدوها . نعم ، هي نفسها بجمالها

سطر في سفر المأساة

تركوهم لوحدهم ، يجلدهم الليل ، ويصرعهم الرصاص ، ويهتك اعراض نسائهم شراذم صهيون .

دير ياسين ، أي جرح غؤور	يتلظى بين الجراح الدوامي
صبغ الارض بالنجيع فخر	الحق خزيان لاصقا بالرغام
سوف تبقين، ما دجا الليل، رمزا	لخيانات عصبة أقزام
ما اتقوا فيك للضمير صريخا	مستثيرا لنخوة الاقوام
لا ولا ارهبتهم لعنة	التاريخ ، او هزهم فحيح الاثام
فعلوا فيك مثلما يفعل	الجزار بالشاة تلها للحمام
منحوك الكلام عذبا فلما	حزب الامر ، جمجموا بالكلام
فعلة المجرم العريق استقامت	في هواه دوافع الاجرام
يقتل الآمن البرىء ويمشي	مطرقا خلف نعشه باحتشام
دير ياسين ، ما الظلام بباق	انما الفجر منحر للظلام
انه أفقنا القريب اندفاقا	من لهيب ، ووثبة الايام
سوف تهوي الاصنام تحت فؤوس	هي أمضى من باطل الاصنام

الكويت — فؤاد الرفاعي

الحزين ، بشعرها الفاحم المتهدل على جانبي وجهها الناصع ، بثوبها الاسود ووردتها البيضاء ، وبسمة طفولتها الحالمة المترقرقة على وجنتيها الشاحبتين . هل اخاطبها؟ كيف اجرؤ ؟ وثب الدم الى قلبي وترددت ، ومع ذلك كان لا بد ان اخاطبها . ولكني ترددت ايضا فأبصرتها تتأملني بل تمعن النظر فيّ ... فازداد دهشي واحجامي .بيد ان نظراتها شجعتني فاستجمعت قواي ودنوت منها وحاولت ان اتكلم ولكن الاضطراب عقد لساني فرفعت هي اليّ عينيها الحزينتين وغمغمت:

ـ « أنت هنا ؟ »

فقلت : « من ؟ »

فقالت : انت ! الست انت ؟

فبهت . واجبت :

ـ « ومن تكونين انت ؟ »

فندت عنها ضحكة ، وقالت :

ـ « الا تعرفني ؟ انا اعرفك ! »

فأحسست قلبي يخفق خفقانا يزعزع صدري وصرخت :

ـ « هي انت ؟ ! »

فابتسمت وقالت : « نعم انا ! »

فانحنيت عليها ، وبالرغم مني امسكت بذراعها وقلت :

ـ « انهضي . تعالي معي . اتبعيني ! »

فتراخت في مقعدها وتمتمت :

ـ « والى اين ؟ »

فصحت بها :

ـ « الى الفرح والحرية والحياة! »

فأطرقت براسها وقالت في اسى :

ـ « لا استطيع ان اتحرك ! لا استطيع ان اقبض على شيء . هذا الهواء يجثم عليّ . يحتويني . انا منه وهو مني ، وليس في مقدوري الا ان اعيش في هذا الهواء الى الابد . »

فذهلت ، وشعرت ويدي تطوق ذراعها اني ممسك بموجة اثيرية ، لا حرارة فيها ولا دم ولا لحم مما يمكن ان تلمسه يد انسان .

فأرتدت اليها ابتسامتها الحزينة وقالت :

ـ « الا اعجبك ؟ كنت تتوقع شيئا آخر ؟ اليس كذلك ؟ »

وضحكت فجأة ثم قهقهت وقالت :

ـ « هكذا انا ، ستظل تحلم بي ، ستظل تقتفي اثري ، ولكنك لن تعثر ابدا عليّ الا كما تراني امامك الان . خذني . تزوجني . الست تريدني ؟ انت مشدود اليّ . لماذا تتقهقر . لماذا ترتعد ؟ ماذا اصابك ؟ اني احبك ! »

فجحظت عيناي وانخلع قلبي ولم استطع الا ان ارفع كفي واخفي بهما وجهي الذاهل التائه المذعور ، وانطلق من الحديقة المسحورة وصوت الفتاة المشفق الهادر الساخر يتبعني ويردد في مسمعي :

ـ « مجنون ... مجنون ! »

الاسكندرية — حسني محمد بدوي



أثـر القرآن في البلاغة العربية

تأليف الدكتور كامل الخولي – ٢٥٦ صفحة – مطبعة دار الانوار بالقاهرة

كان من المحرجات الشاقة لدي ان أؤلف كتاب « خطـوات التفسير البياني » ثم لا أرجع الى كتاب « اثر القرآن في تطور البلاغة العربية » مع انه يكاد ان يكون المرجع الاول لما أعالج من بحوثه ، ويزيد الحرج شدة حين يعلم القارىء ان مؤلفه الاستاذ الكبير الدكتور كامل الخولي اول من اخذت عنهم دروس البلاغة في كلية اللغة العربية أيام الطلب ، ثم هو الآن رئيس قسم البلاغة والنقد بالكلية ، وانا مدرس بالقسم ؟ فما تعليل هذه الظاهرة ؟ ان الاستاذ الخولي قد اشترك عـن عمد في صدي عن الرجوع الى مؤلفه اذ طالمـا تداولنا الاحاديث والمناقشة في بعض ما يعالجه كتابه دون ان يقول ان له كتابا أصيلا في هذا الباب ، مع اننا نرى الدخلاء من ادعياء التأليف لا يفتئون يصكـون الاسماع بالدعاية لما يصدرون من صفحات تسقـم القارىء وتضنيه ؟ أيكـون التواضع المثالي قد دفع الاستاذ الخولي الى حد يحرم معـه استفادة تلاميذه من ثمرات اجتهاده ، هذه الثمرات الناضجة التـي تتراءى حلوة عذبة على أفنانها المورقات ! ان الامر في لبابه يرجع الى هـذا التواضع المفرط الذي انتقل الى طبع الكتاب واخراجه فجاءت صفحاته مكتظة بالسطور الكثيرة ذات الحروف الضئيلة ، ولـو اتيح لغيره ان يقدم مثل هذا الكتاب الى الناس – على دسامته المفرطة – كيفا لاخرجه في ضعف حجمه كما ، ولا استعار له أضخم مذيـاع واقـواه ليبشر الدارسين بما تضمنه من فتوح علمية تستاهل الدعاية وتوجب الاعلان ولكن الاستاذ الخولي يقدم أثره الناضج على استحياء !

لقد نظر المؤلف الى التراث الدائر حول البلاغة القرآنية منذ بدأ التأليف العلمي في أقدم عهوده الى ان انتهى القـرن الخامس مـن الهجرة ، ليكتب – في بعض ما يكتب – تاريخ البلاغة والنقد في طورهما الزاهر الحفيل ، وقد نعهد كثيرا من دارسي الجامعة يقفون بتآليفهم في مثل هذا المجال عند نهاية القرن الرابع ، ولكـن الاستاذ المؤلف يضم القرن الاخير الى ما سبقه قائلا في تعليل ذلك ص ٢٤٥ .

« ان خلق البلاغة في نهاية القرن الرابع لم يكن قد اكتمل بعد ، وقد رأيناه مكتملا في نهاية القرن الخامس وشاء الله ان تكون ذروة هذا الفن في القرن الخامس ، وقد رأيناه بعد لا يقف فحسب بـل يتنكس ويتخلف ، فكانت هذه الدراسة محدودة بالقرن الخامس ليتيسر لنـا اصطحاب البلاغة من مولدها حتى اكتمالها » .

ومزية الاستاذ الخولي فيما كتبه من بحوث ، انه مؤرخ وعالـم بلاغي معا ، فقد رأينا اكثر الخائضين في مضمار التاريخ البلاغي يعرفون حيوات الرجال ، ولا يهضمون آراءهم العلميـة واصطلاحاتهم الفنية ، واكثرهم يرجع الى كتب التراجم والطبقات اكثر مما يرجع الـى كتب البلاغيين أنفسهم ، وقل ان تجد لديهم مـن يريك نشأة المصطلحات البلاغية عبر الزمن ، وانتقالها من وضع الى وضع حتى انتهت الـى عصور الانحطاط ، لان ذلك يتطلب دراسة الفن في كتبه الاولى ثـم في حواشيه الاخرة ، فجاء الاستاذ الخولـي ليرصد في بعض ما يرصد تتابـع المصطلحات البلاغية من امثال البديع والاستعارة والتمثيل والكناية والتخييل في نموها واختلافها علـى ايدي الباحثين ليرى كيف انتقلت من حد الى حد وتبدلت من تعريف الى تعريف ، وصاحب هذا الصنيع يتواضع كثيرا حين يجعل كتابه عن أثر القرآن وحده وكأنه أحس في نهايـة حديثه ان المجال لا يزال ذا سعة فوعد بكتاب آخر يتحدث عـن فيوض البلاغة المتلاحقة الاخرى بعد ان تحدث عن فيض القرآن الكريم .

وفي سبيل البحث عن توالد هذه المصطلحات يلجأ المؤلف الى مثل قوله عن أبي عبيدة ببعض التصرف .

« ولا ندري لم لم ينص ابو عبيدة على الاستعارة في كتاب مجـاز القرآن حين وجودها في النص القرآني وقد كان ابو عمرو بن العلاء ينص عليها ، كما ذكرها ابو عبيدة نفسه في النقائض » .

وهو تساؤل أستطيع ان اقول في التعقيب عليه ، انني أرجح ان يكون مجاز القرآن قد ألف قبل النقائض فجاء اكتشاف ابي عبيـدة لهذا الاصطلاح بعد فراغه من المجاز ، أما أن يكون استاذه ابو عمـرو قد اهتدى اليه فيما نقل صاحب العمدة في زمنه المتأخر فهذا مما يجب ان نقف لديه متمهلين اذ لا يعقل ان يذيع الاصطلاح على يد أبي عمرو ثم لا ينقله تلاميذه الكثيرون من طبقة ابي عبيدة مرددين ، ولماذا انقطعت نسبة الاستعارة الى ابي عمرو عند قدامى الدارسين من امثال الجاحظ وابن المعتز حتى يجيء ابن رشيق فيشير اليها في زمنه المتأخر ومكانه البعيد !

على ان الحديث عن أبي عبيدة يجرنا الـى الحديث عـن سبب تأليف المجاز ، فقد نقل الاستاذ الكبير ما رواه معجم الادباء عن مجلس الفضل بن الربيع والسؤال عن معنى قول الله « طلعها كأنـه رؤوس الشياطين » ، كما ذكره الدارسون جميعا في التعليل لتأليف المجاز ، واذكر انني لم ارتح لهذه الحكاية ، وقد قلت تعليقا عليها في « خطوات التفسير البياني » ما نصه :

« وقد راجت هذه القصة عن سبب تأليف الكتاب لانها معقولة لا يلوح في سردها الظاهر مكان لنقد ، ولكني اقف منها موقفا آخر اذ رجعت الى كتاب المجاز فرأيت ان الآية المتحدث عنها « طلعها كأنـه رؤوس الشياطين » لم يتعرض ابو عبيدة لتفسيرها في سورة الصافات وبعيد جدا ان يتفرغ الكاتب لتأليف كتاب من جزءين بسبب آية مـن آيات القرآن ثم لا يخصها بالذكر وكانت باعثه الاول علـى التأليف ، وقد نشر المجاز عن نسخ متعددة ليس بأحداها اشارة واحدة الى الآية حتى يظن ان الخرم قد لحق بعض الكتاب بل ان سورة الصافات قـد اضطردت على نحو ما استن المؤلف دون ان يلحظ الناشر في صفحاتهـا موضعا لنقص ، ومن ناحية أخرى فان أبا عبيدة في مقدمة الكتاب لـم يشر الى الحادثة اطلاقا ، ولو اتفق له منها شيء لسجله في السطـور الاولى من كتابه تبيانا لدافعه وتحديدا لخطته » .

وقد انتقل المؤلف الى الفراء فحلل في ايجاز كتابه عـن معاني القرآن ، ولم يفض افاضته في مجاز أبي عبيدة لان الفراء عالم نحـوي فهو اقرب الى فن سيبويه منه الى فن الجاحظ ، ذلك الامام البياني الكبير الذي شرع وجهة الحديث عن البلاغة على نحو مبسوط فسيح ، وقد وقف الدكتور الخولي لديه وقفات مستأنية قدمت نماذج حية من آرائه القرآنية أحسن الكاتب اختيارها من البيان والحيوان والرسائل، وقد يستطيع الكثيرون ان يلموا بآراء الجاحظ في تفسير بعض الآيات ، ولكن تحليل هذه الآراء وقياسها الى غيرها ومتابعة سيرها في جـدول التأليف البلاغي مما تجدر به كفاءة الاستاذ الخولي عن بصر ونفاذ ، اذ انه يحتفل احتفالا جيدا لكل ما يتعرض له من نقاط ، حتى لا يكـاد

يشغله زمن او عمل عن تقرير حقيقة او جلاء فكرة !

واذكر ان رسائل الدكتوراه التي يناقشها في كلية اللغة العربية كانت ترى بين يديه اثناء المناقشة ، وقد تراكمت تعليقاته في الصحف الخلفية والهوامش الجانبية تراكما يضيف الى الاصل أصلا آخر ، حتى كأنه يكتب الرسالة من جديد ، وقد اشفقت عليه في ذلك فسألته ان يريح نفسه من عناء ياخذ بعقله ووقته معا ، فقال ان خطته في الفحص والتنقيب تطالبه باكثر مما يفعل ، هذه الخطة التي جعلته يفيض في تحليل مشكل القرآن لابن قتيبة تحليلا علميا يضع النقاط ، ويحدد الجداول ، ويرجع بالنتائج للمقدمات ، وقد تجلى ابن قتيبة في دراسة الاستاذ عملاقا بيانيا رائعا ، وكنت اعتبره في هذا الميدان فردا من الافراد فاذا الرجل يعد توضيح جهوده استاذ البيان الثاني !

واذا الاستاذ الخولي يسلط مجهره الدقيق على كتابه ليجعل منه رأسا في موضوعه الخطير ، هذا الانصاف الجيد لخطيب أهل السنة ، قد اتجه به المؤلف ايضا الى الرماني عالم الاعتزال ، بل الى غيره من ابناء طائفته ممن اوسعوا كتاب الله المعجز تحليلا وتشريحا ، وانه ليقول عنهم وعن غيرهم من علماء الكلام في بعض ما يقول ص ٨٠ :

« ولان هذه الدراسة كانت من العلماء المتكلمين فقد خلطوا بالفن البلاغي حجاجا كلاميا وجدلا عقليا ، ولكن ذلك لم يصل الى حد الطغيان على البحث البياني الادبي فان الباحث يحس ان البحث البلاغي قد افاد من قضية الاعجاز أبلغ الفائدة وعظيم الجدوى وسنرى في هذا القرن كيف انتقلت البلاغة من طور كانت فيه غير محددة ولا مميزة الى طور تميزت فيه الى حد ما واتضحت الفروق بين بعض الاساليب وبرز الجمال البياني وفصل الصورة البيانية بجلاء ووضوح ».

ومما يذكر لكتاب « أثر القرآن في البلاغة العربية » بكثير من الحمد والتقدير تحليله البارع لآراء القاضي عبد الجبار البلاغية حيث فر منها كثير من المؤلفين لصلابة منحاها ووعورة الارتقاء الى قممها البواذخ ؟

واشهد القراء أنني حين كتبت « خطوات التفسير البياني » قد أجهدني كل الاجهاد ان اتابع عبد الجبار في دقته وغموضه وقياسه ووعورة التوغل في مضايقه المتشعبة ، وحين اردت ان اقدم المثل لتفسير امام معتزلي بليغ ، تركت القاضي الاصولي النظار المتمرس عبد الجبار الهمذاني الى تلميذه الشريف المرتضى صاحب الامالي حيث استطعت ان اسير معه دون استاذه !

واستاذي الخولي وجد من قدرته المكينة ما اعانه على تشريح آراء القاضي عبد الجبار فاوسع ما جاء في المغني عن الاعجاز تحليلا وتنويرا وأشار الى نبذ من طريقته الجدلية في الحجاج ، ووضح رأيه في النظم القرآني ، وانه مناط الاعجاز بشروط خاصة تترك الخوض فيها لمن يصمد لها كالاستاذ كامل الخولي عن مقدرة ورسوخ ، وحديث عبد الجبار عن قضية النظم مضافا الى ما سبقه من حديث الخطابي مما ينفع لدى دراسة عبد القاهر لان اصول نظريته تضرب بجذورها الى اعماق بعيدة ليس من السهل الهين ان يجازف بالحديث عنها كل من الف في تاريخ البلاغة ! وقد وضع الاستاذ الخولي السن القويم لمن كان ذا بصر واهتداء .

وحديث المؤلف عن عبد القاهر في كتابه كحديثه عنه في محاضرات درسه ، حديث المعجب الفخور ، اذ استطاعت فطنة الجرجاني وألمعيته ان تجذبا الاستاذ الخولي جذب العاشق الولوع ، وهو مع الهيام المتصل بصاحب الدلائل والاسرار ، لا يسمح لنفسه ان يغمض عن نقده متى اتضح وجه الحق فيما قال ، فهو في رأيه ص ١٧٨ .

« الحامل لتبعة المباحث النحوية التي غدت البلاغة فضمير الخاطب وضمير الغائب وضمير المتكلم ، والعلم لاحضار صاحبه بشخصه ، والوصول للمعهود وواو الحال متى تدخل ، وحذف الخبر بعد ان ، وتسويغها الابتداء بالنكرة ، وتقديم المسند للدلالة على انه خبر لا نعت » .

وغير ذلك قد اقحم على البلاغة من النحو اقحاما ، كما اخذ عليه المؤلف تفريق الموضوع الواحد في اماكن متعددة فلا بد للباحث ان يلهث وراءه حتى يجمع المفرق ويضم الاشتات مما ادى الى تضارب كبير بين شارحيه وناقديه ، هذا الى كثير من التكرار مع الاختصار الشحيح في بعض ما يتطلب الفيض والاسهاب ، ولكن ذلك كله لم يمنع الاستاذ ان يقول في نهاية بحثه انه اكمل خلق البلاغة وجعلها كائنا ذا استقلال كما اهتدى الى سر لدىعبد القاهر لم يهتد اليه سواه حين قال ص ٢١٢ .

« ومن عجائب عبد القاهر ان الاقدمين الذين سبقوه والمتاخرين ايضا يربطون توكيد الجملة بحال المخاطب من تردد وانكار فياتي عبد القاهر ويدخل في التوكيد حال المتكلم ايضا وذلك اذا وقع شيء كان يظن انه لا يقع كما في قول مريم « رب اني وضعتها انثى » وقول نوح عليه السلام « رب ان قومي كذبون » وهذا ما لم يلتفت اليه المتقدمون ولا المتاخرون » .

وحديث الاستاذ عن الزمخشري جيد رائع وقد ختم به بحثه عن قدامى البلاغيين ، ولم يفته في تطوافه الفسيح ان يلتفت الى ما لا يرضاه من اقوال المعاصرين حيث جادل بالحجة وظهر بالدليل على افذاذ موهوبين ، وكانت لبعض آراء طه حسين وسيد قطب وامين الخولي واحمد المراغي وعبد الهادي العدل وقفات حكيمة تفسح مجال النظر الصحيح ، وان كتابا قيما يقوم بموضوعه هذا المقام الرائع لجدير ان ياخذ حظه من الذيوع وان يتقبل صاحبه جزيل الشكر الطيب من تلاميذه ومريديه .

الفيوم — دار المعلمات **محمد رجب البيومي**

•

ابو تمام الطائي

حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية

تاليف كوركيس عواد وميخائيل عواد — ٩٠ صفحة — حجم كبير — مطبوعات وزارة الاعلام العراقية — مطبعة الارشاد ببغداد

كما الدرة اليتيمة في مهرجان ابي تمام كان كتاب « ابي تمام حياته وشعره في المراجع العربية والاجنبية » تاليف الاستاذين الجليلين كوركيس وميخائيل ابني عواد ، لم يسبقه شيء ولا لحقه شيء بل لم يقدم للمهرجان سواه فكان حقا درة يتيمة في المهرجان . وبعض اصناف الكروم في بلادنا يحمل في العام غير مرة كذلك تصانيف هذين العالمين الفاضلين ما يمر عام الا وترى لهما طريفا في التصنيف وظريفا في التاليف .

وهما ابدا فرسا رهان يأتلفان حينا ويختلفان احيانا ، لكن غاية الفوز عندهما خدمة العربية وتراثها الخالد .

في التمهيد قال المصنفان الفاضلان : « ان الادباء والعلماء القدامى والمحدثين صنفوا في ما الفه (ابو تمام) وجمعه المصنفات العديدة وتدارس الناس من بعدهم شعر ابي تمام و (اختياراته) . فكان محصول ذلك جملة كبيرة من المصادر والمراجع التي انتهى الينا بعضها وضاع البعض الآخر . هذا الى طائفة واسعة مما كتبه الباحثون المتاخرون والمعاصرون في هذا السبيل . وما وصل اليه علمنا من امر هاتيك المصادر والمراجع ، ادرجناه في هذا الفهرست بعد تنسيقه وترتيبه بالوجه الذي ارتضيناه ، ورأينا انه يسهل معه الرجوع اليه ووضعه بين ايدي الباحثين والدارسين ، ليتخذوا منه دليلا حين تراد الدراسة او تبتغى الكتابة عن ابي تمام وشعره » .

فالكتاب اذن كتاب من كتب الفهارس ، ودليل من ادلة الدراسة والبحث . وقد تضمن من الموضوعات ما يلي :

١ — ابو تمام في سطور .
٢ — تاليف ابي تمام .
٣ — كتب الفت في ابي تمام .
٤ — اخبار ابي تمام وشعره في المراجع العربية القديمة .
٥ — اخبار ابي تمام وشعره في المراجع العربية الحديثة (ويدخل في ذلك الكتب والمجلات والجرائد) .
٦ — ابو تمام في المراجع الاجنبية .

في فصل تاليفه عرضا لديوان ابي تمام ، نسخه الخطية ثم المطبوعة وفي المطبوعة فاتهما ذكر طبعة صدرت عن المطبعة التعاونية اللبنانية في درعون — حريصا سنة ١٩٦٨ بشرح وتعليق شاهين عطية ومراجعة الاب بولس الموصلي ناشراها مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني — بيروت — ص ٤٣٩ . ثم عرضا لشروح ديوانه المطبوعة والمخطوطة والمفقودة . ثم لتصانيفه الاخرى : الحماسة ، مخطوطة ومطبوعة ، شروح الحماسة ، مخطوطة ومطبوعة والحماسة الصغرى (الوحشيات) مخطوطة ومطبوعة . وذكرا كتاب « اختيار الشعراء الفحول » ومنه نسخة خطية فريدة في (مشهد) بايران وهمزيات ابي تمام التي نشرها عبد السلام محمد هارون . ونقائض جرير والاخطل التي نشرها الاب انطون صالحاني .

وذكرا كذلك اربعة من مصنفاته المفقودة هي : مختار اشعار القبائل ، والاختيارات من شعر الشعراء ، واختيار المقطعات ، والاختيار من اشعار المحدثين .

ثم عرضا في فصل مستقل للكتب التي الفت في ابي تمام ص ٢٢— ٣٠ وهو فصل جيد ، وقد فاتهما فيه ذكر كتاب « الامثال » لابن ابي الاصبع المصري ، الذي استقصى في فصل منه امثال ابي تمام في شعره فوجدها تسعين نصفا وثلاثمائة واربعة وخمسين بيتا (انظر تحرير التحبير ص ٢١٩) .

ثم لاخباره وشعره في المراجع العربية القديمة ص ٣١ — ٦٤ فاخبار ابي تمام وشعره في المراجع العربية الحديثة ص ٦٥ — ٩٤ .

وعلى الرغم من الجهد الضخم المبذول في هذين الفصلين الاخيرين ، الا انني وجدت انهما قد ادرجا الكثير من المراجع التي ورد فيها ذكر ابي تمام عرضا فهي ليست كتابا ألف فيه ولا فصلا من كتاب ولا مقالة وهي بالاختصار ليست من مصادر دراسته بالمعنى العلمي ، وعلى سبيل المثال : ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي للاستاذ هاشم الطعان ومحاضرات في شعر علي محمود طه للسيدة نازك الملائكة وشعر ابي سعد المخزومي للدكتور رزوق فرج رزوق وديوان العباس بن مرداس للدكتور يحي الجبوري وسواها كثير كلها ليست من مراجع دراسة ابي تمام ابدا . فمجرد ذكر ابي تمام عرضا او استطرادا او الاستشهاد ببعض شعره لا يبيح اعتبار الكتاب مرجعا لدراسته ، ولو اخذنا بهذا القياس لامكنني المجيء بمئات المصادر الاخرى ولاختلط الامر اختلاطا كبيرا . فلا بد اذن من غربلة هذه المصادر وتحكيم مقياس علمي ثابت فيها .

وهناك تساؤل آخر يثيره اثبات قصيدة « ذكرى حبيب » وهي قصيدة لصديقنا الدكتور زكي المحاسني عن ابي تمام نشرتها مجلة « المجلة » القاهرية في اكتوبر ١٩٦٠ . والسؤال هل ان القصائد التي تكتب في ذكرى ابي تمام يصح اعتبارها من مراجع دراسته ؟؟ ارجح ان اثبات هذه القصيدة يشكل خروجا على الخطة التي استنها المصنفان الفاضلان . لان القصيدة ليست كتابا ولا فصلا من كتاب ولا مقالة واذا ما قبلنا هذا المبدأ وجارينا الباحثين الكريمين امكننا استدراك عشرات القصائد عليهما مما نظم في ابي تمام ومنه على سبيل المثال :

١ — رائعة شيخ شعراء الشام الاستاذ شفيق جبري وعنوانها « ابو تمام » والتي يقول فيها :

هذا التجدد لا رطانة اعجم ... يهذي ويدلف في الظلام الاسود

لغة كان نسيجها من بابل — ولدت وليت نسيجها لم يولد
ليس الكلام اذا صفا ينبوعه — شروى كلام ملغز ومعقد
واذا العروبة ند عنك بيانها — فسد الفؤاد مع البيان المفسد

٢ – وقصيدة الدكتور سيف الدين الكيلاني وعنوانها « احياء ذكرى ابي تمام » ومطلعها :

المرء في قيد الفناء مصفد — والعبقري على الزمان مخلد

٣ – وقصيدة الشاعر الاصيل عدنان مردم وعنوانها « الشاعر الصناع » واولها :

يبلى الشباب على الزمان وينفد — وشباب شعرك خالد يتجدد

وهي من عيون الشعر العربي الحديث .

٤ – وقصيدة شاعر لبنان المجلي امين نخلة وعنوانها « في ذكرى حبيب » والتي منها :

ان يكن غنى ابو تمامكم — فسألوا عن شدوه لبناننا
نحن في الفصحى رعينا ذممها — وشرعنا دونها سمر القنا
ان طيبا جاءنا من عندكم — قد تلقاه شذا من عندنا

٥ – وقصيدة الشاعر صلاح عبد الصبور وعنوانها « في مهرجان ابي تمام » واولها :

خافقي نحوها استطير فلبى — وثب الشوق بالجناحين وثبا

٦ – وقصيدة الشاعر العوضي الوكيل وعنوانها « ابو تمام » :

مقلة حيرى وروح مستطار — ايها القلب لقد شط المزار

٧ – وقصيدة الشاعر الفحل المرحوم علي احمد باكثير وعنوانها « ذكرى حبيب » واولها :

طف بالخمائل من ربى جاسم — وانشق شذا ريحانها الفاغم

وكل هذه القصائد القيت في مهرجان الشعر الثاني المنعقد بدمشق في ايلول عام ١٩٦٠ ثم نشرت في كتاب المهرجان المطبوع بالقاهرة في ١٩٦١ – مطبعة فن الطباعة .

ومما فات المصنفان الفاضلان ذكره البحوث التالية :

١ – حكمة ابي تمام – بحث للدكتور محمد خلف الله احمد .
٢ – حياة ابي تمام – بحث للدكتور احمد هيكل .
٣ – عصر ابي تمام – بحث للدكتور عزة النص .
٤ – فن ابي تمام – بحث للدكتور عبد الكريم اليافي .

والبحث الاخير اعيد نشره في مجلة « الثقافة » السورية التي يصدرها الصديق مدحت عكاش . وهذه البحوث الاربعة من اقيم البحوث وقد نشرت كلها في كتاب المهرجان المشار اليه .

ومما يستدرك ايضا على فصل ابي تمام في المراجع الحديثة المقالات التالية :

١ – هل كان ابو تمام يونانيا – للدكتور صفاء خلوصي . مجلة « المعرفة » العراقية الجزء الخامس الصادر في ١ اذار ١٩٦١ .
٢ – مدى رجحان الاصل اليوناني لابي تمام – بين نسب الدم ونسب الثقافة للدكتور صفاء خلوصي . مجلة « المعرفة » ج ١٧ الصادر في ١٥ ايلول ١٩٦١ .
٣ – تعقيبات . هل كان ابو تمام يونانيا ؟ لمحسن هلال السرحان مجلة « المعرفة » ج ١١ و١٢ الصادر في ١ حزيران ١٩٦١ .
٤ – تعقيبات . هل كان ابو تمام يونانيا ؟ محسن هلال السرحان مجلة « المعرفة » ج ١٣ – ١٥ حزيران ١٩٦١ .
٥ – مقالة – التجديد في شعر ابي تمام – لمحمد حسن عواد – مجلة « المجلة » المصرية العدد ٤٦ ص ٧٠ .

ومن امتع الفصول الفصل القيم الذي عقده الدكتور عبد الكريم اليافي لابي تمام من ص ١٠٤ – ١١٩ في كتابه القيم الممتع – « دراسات فنية في الادب العربي » .

ان كل ما ذكرته ليس الا محاولة لاستكمال عمل فهرسي ضخم نهد به باحثان جليلان . ثم ان ما قلته لا يضيف الا بمقدار ما تضيف السحابة للبحر والهامش للسفر . مع اعمق المودة .

بغداد — هلال ناجي

سيرة شكري حنا شماس

تأليف ادفيك جريديني شيبوب – تقديم خليل رامز سركيس – ١٩٠ صفحة – مطابع الخال ببيروت

ان ادفيك شيبوب الاديبة التي هب قلمها مغموسا بندى احساسها لكتابة سيرة رجل كبير بكل ما للكبر من معان وابعاد والوان ، خرجت من هذا المؤلف ، بستانية مظفرة ، وقد استطاعت ان تزرع في حدائق السجلات والسير ، دوحة جبارة وارفة ، برزت في الفصل الاول غرسة تبشر بنمو مستمر ، وارتفعت في الفصل الاخير جذعا ضخما واغصانا طويلة مورقة تتحدى الحر والقر على السواء .

ولعل اقوى عنصر من عناصر نجاح الكتاب هو في نظري ، حب ادفيك للحقيقة الصافية ، هذه الحقيقة التي تتنفسها كالهواء فتروح تسري في دمائها ، متوهجة في افكارها ، ملتصقة على لسانها ، وادفيك حين امسكت القلم لتخط الكلمة الاولى في سيرة شكري حنا شماس ، انما امسكت بالصدق والحقيقة لايمانها واحساسها بانه متى خلت كتب السيرة من هذا الضوء الواضح المشع ، اصبحت كثوب بلا جسد او اطار بلا صورة . وان ما سجلته عن صراع شكري شماس مع الحياة المهاجمة القاسية ، لهي صفحات ضوئية انسانية حرية بان يسترشد بها كل رجل وامرأة وشاب وفتاة ، فيضعونها امامهم كالشمعة المتقدة وسط ظلام مشكلاتهم وحيراتهم ، امام مفارق الحاضر والمستقبل وكل ما هو شائك ومهزوز .

ان صاحب السيرة ، انسان ذاق العذاب على انواعه واحجامه والوانه ، فقد عصر الموت الغاشم قلبه الطفل حين اغتال اخاه « سعيد » ، ولوى قلبه الشاب حين اختطف شقيقه « جودت » وهو لم يصح بعد من صدمة رحيل والده الى العالم الآخر ، وفوق كل هذا مضغ الفقر والجوع باقسى صورهما اثناء الحرب العالمية الاولى ، فتعلم كيف يتسلل في الظلمات بحثا عن لقمة الخبز الثمينة . ومن القهر المقلص للنفس والجسد تعلم ايضا كيف يكبر ويرتفع او بالاحرى كيف يعجن من طحين العذاب نفسا صلبة رقيقة لعبت في مستقبل العمر دورا عظيما شمل الانسان والمجتمع والوطن ، ولو لم يكن شكري انسانا قبل ان يكون مسؤولا كبيرا لما قدر ان ينجح وينتصر خاصة وان معاركه مع الحياة كانت تدور على سلم ضيق شديد المزالق ، قريب المخاطر ، قاسي الدعسة ، واهي الدرجات .

لم يرث شكري عن ابيه اموالا او اطيانا او قصورا شاهقة ، ولكنه ورث اصالة وادبا ومحتدا كريما ، وحين انتهت الحرب مخلفة الفقر واليتم في بيت الشماس واحس شكري انه بات عماد البيت وسنده الوحيد وهو بعد في ميعة الشباب وطراوة العود ، لم ينحن للفواجع المحيطة به . بل قد منها ارادة فولاذية ، وشرع صدره الفتي للحياة بكل ما اوتي من عقل واحساس بالطموح . ومما لا شك فيه ان قوة المرأة الصابرة التي ارضعته الحليب حتى بعد ان تكاملت اسنانه واضراسه ، كانت تزيده قوة وعزيمة ، بل انها كانت في كل مراحل حياته الضوء الدائم الاشعاع المواكب لخطواته وافكاره ومشاعره : هذه الام احبت ابنها حبا صحيحا عميقا ، فلم تدلعه ولم تشده الى ذيل ثوبها ، لعلمها بان حب الام للابن هو بمثابة بناء رجل متكامل وعملية البناء هذه تحتاج الى عاطفة شجاعة وعقل حكيم .. « تنهداته المخفوقة لكم تناهت الى سمعها في اغوار الليل ... فصحت من عز النوم وانفطر قلبها عليه ، انما لم تبرح مكانها صامدة ، لا تدمع ولا تفلت من صدرها آهة » ..

عبرة ضوئية كبيرة من عبر الكتاب ، يجدر بالامهات تلقفها والسير على منوالها ، لان اما كهذه جوهرة بين الامهات ، لم تكتف بان تلد ، بل جعلت ممن ولدتهم رجالا كبارا بمستوى كبر الامومة ورسالتها المقدسة . ولكم قاسى الشاب بينه وبين نفسه ، حين كان يرى اخته تحيكان ثيابا للناس على نور القنديل ليستطيع هو اتمام دراسته الثانوية . من

هنا كان احترام شكري للانثى القوية الحقيقية ، المتمثلة في امه واختيه، فلم تتردد في حياته اصداء قصص نسائية ومغامرات ، كما يحصل لدى سواه من الشبان العاديين اللامبالين .. ولما اختار شريكة حياته ، كانت مثالا رابعا للمرأة الاصيلة الواعية الذهبية الاخلاق .

دخل شكري الجامعة الاميركية وتعلم تحت اقسى الظروف واكثرها تحديا للارادة والطموح ، ورغم هذا تخرج منها نجما متالقا يشار اليه بالبنان . كان نجاحه المميز يقضي بأن يتابع دراسته الهندسية في الخارج ، وكانت هذه رغبته الكبرى لولا تشوقه الاكبر لان يريح امه واختيه من تحصيل المال ، فاندفع يدخل سلك الوظيفة في كل من السودان والعراق ، ويعمل استاذا بكل ما اوتي من براعة ومعرفة واخلاص ، لكنه لم ينس حلمه الذهبي لنيل شهادة الهندسة ، فحقق هذا الحلم عن طريق المراسلة مع جامعة لندن وتخرج مهندسا متفوقا وراح ينتظر الفرص وفي اعماقه رفض محتقر للوظيفة ذات القيود الحاكمة المستبدة .

وقرر ان يخوض غمار العمل الحر فعاد الى سوريا يفتتح مطعما وينفذ اعمالا هندسية مختلفة اتمها بنجاح تام ، مما حفزه الى التوغل في بحر العمل ، فاسس عام ١٩٤١ «شركة المقاولات والتجارة» بالاشتراك مع اميل البستاني وعبد الله خوري رحمهما الله . والشركة لا تزال حتى هذا التاريخ مفخرة من مفاخر المؤسسات الوطنية الكبرى . وازدهار هذه الشركة لم يكن بالامر السهل ، فكثيرا ما واجهت النكسات والمخاطر ، ولكن الارادة الجبارة كانت دائما اكبر من النكسات والاخطار وكانت وراء امتداد الشركة عبر الاراضي والبحار ووراء فتح الفرص امام مئات من المهندسين والاف العمال .

كان شكري في بدء العمل ، يذهب الى « الورشات » راكبا على دراجة « وبطقمه » الكاكي الرخيص ، وكان كلما اصيبت الشركة بهزة ما ، يضحك بحيوية ويهتف بمرح : « وشو عليه ؟ البسكليت بعدها موجودة » .. لم يؤمن هذا الرجل الا بالبناء والعلو والصعود الى القمم . انه لحد اليوم لا يعتبر القمة التي وصل اليها نهاية لعمل او طموح .. انه لا يزال يصارع التنين .. فمع دوام الحياة يدوم الصراع وما لذة العيش بلا مسؤولية او صراع ؟ واخيرا ان اديبك شبيبوب الاديبة الصادقة الرهيفة الحس والقلم ، لم تكتب سيرة شكري شماس الا لان حياتها شابهت حياة صاحب السيرة الى حد بعيد .. فهي مثله صارعت وانتصرت . وهي مثله صنعت من القهر المقلص للنفس والجسد ، ادوات بناء عجيبة ، تعمل من اجل الانسان ، بالتالي من اجل الوطن والمجتمع .

نورا نويهض حلواني

•

رابعة العدوية

مسرحية شعرية ـ لعدنان مردم بك ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ كانون الثاني ١٩٧٢

اهدى الي الاستاذ الشاعر عدنان مردم بك مسرحيته الشعرية « رابعة العدوية » ، المؤلفة من اربعة فصول ، فقراتها متمهلا من أولها الى آخرها ، ومعيدا بعض أبياتها غير مرة ، ومترنما ببعضها الاخر لما فيه من ايقاع موسيقي بحتري . وقد لفتت انتباهي فيها الامور الآتية :

١ ـ كتابته مقدمة المسرحية بنفسه دون ان يعهد الى واحد من اصدقائه الادباء الكثر بتقديمها ، لانه اقدر من غيره على توجيه أنظار القراء الى السبيل الذي انتهجه حين نظم تلك المسرحية ، وصاحب الدار ادرى بالذي فيها .

٢ ـ تشابيهه الطبيعية الكثيرة ، وسيطرته القوية على اللغة ، والتسلسل المنطقي في سرد الحوادث .

٣ ـ كون مسرحيته قصة واحدة متماسكة تحملنا على مواصلة القراءة حتى النهاية .

٤ ـ حسن انتقائه قصة عدوية التقية الورعة ، لتقتدي بها فتياتنا اللواتي جرف الفجور عددا كبيرا منهن الى الهاوية ، في عصرنا الماجن الذي خططت له الصهيونية منذ مدة طويلة ، ونجحت في نشر مجونها في العالم كله نجاحا عظيما .

٥ ـ اجادته الدفاع عن الفضيلة ، وحسن شرحه لفلسفة الحياة خيرها وشرها ، ودعوته الى غفران ذنوب الآخرين ، وشعاره : (لعل له عذرا وانت تلوم) ، كقوله بلسان رابعة :

انـي لابكـي قاتلـي | من رحمة بدموع صدري

٦ ـ استطاعته ان يظهر لنا ان قلبه يعمره الايمان ، تدل على ذلك أبياته التي نظمها بلسان رابعة مناجية الله عز وجل :

أخذ الورى بجلال هذا | الكـون افلاكـا وأرضا
فجروا حيارى ينهبون | الارض في الظلماء ركضا
عثروا، وظلوا العاثرين | ولم يشاؤوا العمر نهضا
لكن حبك ذاد في الظلماء | عـن جفنـي غمضـا
مولاي! لم يخفق لغيرك | خافقـي نبضا فنبضـا

٧ ـ احسانه بشرح بعض الكلمـات الصعبـة ، ولا أدري سبب اهماله شرح كلمة (نحيزة) ومعناها (طبيعة) ، ويا ليته قال :

طبيعـة الشـر كـانت | موروثـة وأصيلـه

بدلا من : (نحيزة الشر) التي كررها بعد صفحتين . وأهمل ايضا شرح كلمات أخرى يجهل معانيها معظم القراء مثل : صوى ، غرب السم ، دعج ، اواصر ، شعف ، الخصاصة ، فغم ، تبغم .

٨ ـ تكراره كلمة (عور) كثيرا ، وهي مما تشمئز منه المسامع .

٩ ـ اهماله وصف (رابعة) بعد عتقها ، كما وصفها وهي مسترقة لنرى تحليله لنفسيتها التي أحلتها تلك المكانة السامية في القلوب .

١٠ ـ الابيات التي يتحدث في الواحد منها اكثر من شخص واحد قليلة جدا .

١١ ـ وجود أخطاء مطبعية مثل : (رضت) بدلا من (رضيت) ، و (زاد عن جفني) بدلا من (ذاد عن جفني) .

وهنالك هفوات بسيطة كان في وسعه اجتنابها ، مثل :

اقبلت انذرك المصير   قواضبا تفري ورمحا

ولو قال : (مهندا يفري) لكان أحسن ، لان الرمح مفرد ، يستحسن ان يعطف على مفرد .

وتنعي الرذيلة ، صوابها : تنعى (بالالف المقصورة) .

ودخيلة عن الورى ، صوابها : في الورى ، او على الورى .

وقوله :

حسب الشريعة ما إكتوت   بالامس من نار الرماح

والصواب : اكتوت به من نار الرماح ، ولو قال :

حسب الشريعة ما كواها   أمس من نار الرماح

لصح البيت معنى ومبنى .

وقوله : لو كنت املك امر هذا القطر لم يعجزني قطر .

فالوزن مختل في العجز ، ولو قال : لا يعجز قطر او : ما اعجز ، لاستقام الوزن .

وقوله : ينهي ويأمر . صوابه : ينهى (بالالف المقصورة) .

وقوله :

ما الامر بالنذر اليسير   ولم يكن نذرا يسيرا

والصواب : (بالنزر ، نزرا) ، والنزر هو القليل التافه .

وقوله :

وأراك في الق الضحى   دون الربى يرفض رفضا

والصواب : ارفضاضا ، لان الضاد في يرفض مضعفة .

وقوله في القصيدة نفسها : في الظلماء ركضا ، ثم قوله بعد خمسة أبيات : في الروض ركضا وهذا من عيوب القافية ، ويسميه العروضيون (ايطاء) ، والخليل الفراهيدي وتلاميذه ، ومنهم سيبويه، لم يسمحوا بتكرار القافية بلفظها ومعناها . ولكن بعض المتاخرين يرون انه اذا كان بين القافيتين سبعة أبيات فليس بايطاء ، وانا منهم .

وقوله : فلم تطق جفناي غمضا . والصواب : فلم يطق ، لان الجفن مذكر .

وقوله :

لا الجار يوما بالمصان   لديكما ، عن آكل

والصواب : بالمصون ، لان الفعل هو : صان ، لا أصان .

وقوله :

أبصرت بالكبد الجريحة   ما خفى عن ناظري

والصواب : ما اختفى عن ناظري ، لان الفعل هو : خفي (بالياء ، لا بالالف المقصورة) .

هذه الهفوات البسيطة تجعلني أنصح الشاعر الملهم الاستاذ عدنان مردم بك باعادة النظر في مسرحيته ، واعادة سبك بعض أبياتها ، لتصبح كتحفة من المرمر ، من حيث دقة النقش ، مع ان قوة العبارة ظاهرة في المسرحية ، ولكنه ـ بقليل من التنقيح ـ يستطيع ان يزيل عنها بعض الكلف ، الذي لم يشن وجوده جمال البدر .

صيدا ـ لبنان **محمد العدناني**

•

الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين

تاليف صاحب كمر ـ تقديم الدكتور داود سلوم ـ ٦٤ صفحة ـ مطبعة الشعب ببغداد ١٩٧١

الشعر لغة مواقف انسانية منظومة وفيها معاناة اصالة ووجود متطور .. والشاعر العراقي يوسف عز الدين يقف رائدا مبدعا في هذا المجال عبر مجموعات شعرية اربع ، حيث يواصل هذه الريادة بقصائد تقليدية (كلاسيكية) رافضا من خلالها المفاهيم الجديدة عن الشعر الحديث ونماذجه ، متعلقا بوحدة القصيدة الغنائية وبنيانها ـ الوزن والقافية ـ وسهولة اللفظ وجزالة اللغة ، متخليا عن الغموض والتعقيد الحاضر الذي لا يدل معظمه على الاصالة والتجديد .

وقد عالج الدكتور عبد الله درويش « المضمون والاطار في شعر يوسف عز الدين » في كتاب له صدر بهذا العنوان . ويأتي كتاب الاستاذ صاحب كمر يحمل ابعاده النقدية وجدية الدراسة ومتابعة التطلع الى مستقبل الشعر ورؤاه لدى يوسف عز الدين ، الا ان الناقد يقع في تفسيرات ذاتية وحمله ابعادا مثقلة لقصائد لا تحتمل هذا الثقل والتبرير في الالتزام والتجديد كأن يفسر عددا من ابيات الغزل بمظاهر وطنية ملتزمة ومواقف قومية :

غدا الافي حبيبي واشتكي اوصابي
واشرح الشوق شعرا يهينمان عذابي
فلا تلمني اذا ما باح الغرام بمابي
قد ضاع عمري هباء وضاع حلو الشباب
يا نور طابت حياتي بعد السنين الكوابي

ويقول صاحب كمر : « وكاني بالشاعر يقول : لا تقسوا ، لا تظلموا .. وينطلق مغنيا بعد لهاث جاد » ثم يورد المؤلف الابيات التي اوردتها ..

ويقول ايضا :

« ذلك شعر الشاعر ، تتجلى فيه الحيرة وتتوارد خواطره ورؤاه مبثوثة هنا وهناك ... » ويقرن شاعرية اراجون ـ صاحب قصائد « الزا وعيون الزا » التي ترجمها السياب ثم ترجمت بطبعة حديثة ومطولة مؤخرا ـ بقصائد يوسف عز الدين كونها « تمثل صورا عديدة في نموذج واحد ، وان شعر اراجون لم يكن يعني فردا من الافراد ، حتى الزا رفيقة عمره كانت صورة اخرى لوطنه » وما صح عن اراجون لا يصح اطلاقه على قصيدة للشاعر عندما يقول :

لا تلومي شهريارا في الهوى   لم يجد في حبه من ناصر
وارفقي في شاعر تؤلمه   ذكريات ما مشت في خاطر
قتلت انغامه غادره   واماتت امنيات الشاعر

ويشير الدكتور داود سلوم في تقديمه الكتاب الى خصائص شعر يوسف عز الدين :

« سهلة ويسر بالنظر الى الشكل ، تقليدي في بحوره في الغالب ، مجدد في قوافيه ، لغته انيقة وفيها ظل المعنى القديم وجزالة التركيب اللغوي المتماسك .

مضامينه تتراوح بين الشعر الذاتي والشعر السياسي وغلب في شعره الذاتي الغزل على التامل العميق او الفلسفة الحزينة او المتفائلة فالشاعر ، شاعر حب حسي مادي » .

وبصدد التعقيب على اراء المؤلف يقول : « ماذا نفعل بالشعر الغزلي الصريح الذي تخصص باسماء نساء واضحات المعالم او اللواتي تركن وراءهن عطرهن وخصلهن في القصيدة ... اما الالتزام فهو انعكاس للجيل والزمن والعصر .. »

ويأتي المؤلف بنماذج من الشعر الشعبي لمظفر النواب وشاكر السماوي ليؤكد على وجهة نظر سلبية وغير واردة اصلا للمقارنة .

ان كتاب صاحب كمر لا يشكل علامة جديدة في دراساته النقدية السابقة ، حيث غلبته السرعة والانشائية في التقييم النقدي ، غير انه يبقى متابعة موضوعية مخلصة للحركة الشعرية ودراستها والتعريف بها واغناء وجودها بالتعريف الجاد ، الذي نتوسم فيه الاصالة والجهد الاكبر والاشمل ..

الموصل **حسب الله يحيى**